مجدي كامل

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

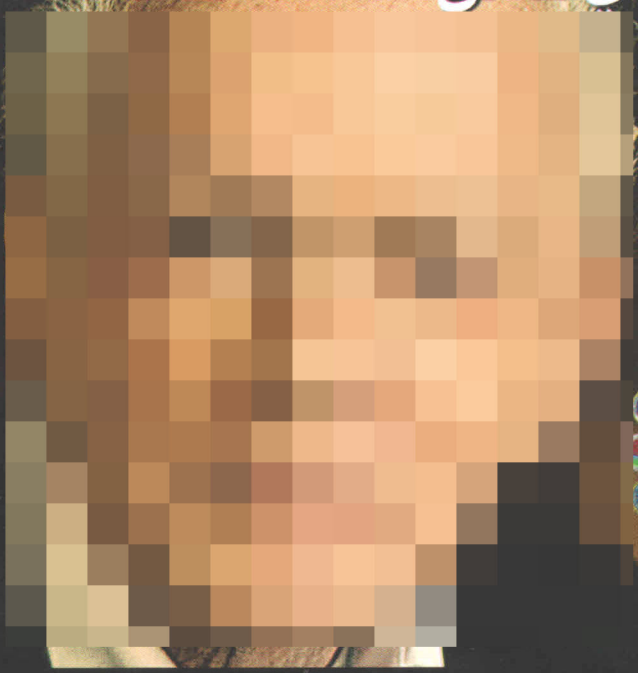

Gene Sharp

غاندي .. ميكيافيلي .. أم عميل استخباراتي بامتياز ؟!

جِينْ شَارْبْ

مهندس ثورات اللا عنف والدور الأمريكي في شيطنة الربيع العربي

جين شارب..

مهندس ثورات اللا عنف

اسم الكتاب: جين شارب.. مهندس ثورات اللا عنف
تأليف: مجدي كامل
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبدالرءوف سعد
تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار الكتاب العربي
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 21500/ 2013
الترقيم الدولي: 978-977-376-823-0

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: 2256870
دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: 2236728
مكتبة النوري - أمام البريد - ت: 2210314
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: 2228222
مكتبة الفتال - فرع أول - ت: 2456786
- فرع ثاني - ت: 2222373

حقوق الطبع محفوظة

تحذير:
جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربي للنشر وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية أو نقله بأية وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

الطبعة الأولى
2014

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: 2235401 ص.ب 34825
مصر - القاهرة - 52 شارع عبدالخالق ثروت - شقة 11 تليفون: 23916122 - فاكس: 23933671
لبنان - تليفون: 434186 / 05- 652241 / 03 - ص.ب 13043 الشويفات
darelkitab@yahoo.com - daralwalid@yahoo.com - info@darketab.com
www.darketab.com http://www.facebook.com/groups/darketab
http://twitter.com/darelkitab http://www.youtube.com/darelkitab

جين شارب..

غاندي.. ميكيافيللي..
أم عميل استخباراتي بامتياز؟!

مهندس ثورات اللا عنف
والدور الخفي المشبوه
في ثورات الربيع العربي

تأليف
مجدي كامل

دار الكتاب العربي

تقديم

بعد أن هلل العالم كثيرا شرقه وغربه شماله وجنوبه لثورة صربيا، وراح الجميع يتبارون في الترحيب بسقوط أحد معاقل الديكتاتورية، بدأت الثورات تنتقل من دولة إلى أخرى. وكل ثورة كانت تشترك مع الأخرى في أمور ثلاثة أولها أن جميعها تجسيد عملي لدليل ثوري بآليات محددة صاغه بإحكام فيلسوف أميركي اسمه جين شارب، وأن جميعها تحمل شعار السلمية، وأنها في معظمها تتخذ لونا لها. إحداها برتقالية وأخرى قرمزية وثالثة وردية وهكذا.

ومع الوقت انتقلت هذه الثورات إلى المنطقة العربية فيما اصطلح الغرب على تسميته بـــ " ثورات الربيع العربي ".

الغريب أن كل هذه الثورات - كما سنطالع في هذا الكتاب - كانت تحمل تقريبا نفس الشعارات خاصة " قبضة اليد " من صربيا إلى تونس ومن جورجيا إلى مصر. الأغرب أنه بالبحث عن أصل الشعار اكتشف العالم أنه نفس الشعار الذي كانت قد اتخذته حركة "كاخ" الصهيونية الإرهابية.

ومع الوقت - وكما سنرى في هذا الكتاب - اكتشف العالم أن جين شارب ليس مجرد فيلسوف وإنما هو عميل لوكالة المخابرات المركزية الأميركية " سي.آي.إيه " بامتياز، وأن كتبه التي وضعت آليات ما أسماها بثورات اللا عنف أو الثورات السلمية أو كما اصطلح العالم بعد ذلك على تسميتها بـــ " الثورات الملونة " لم تكن سوى عمليات قلب لأنظمة الحكم المستبدة الآيلة للسقوط بفعل الغضب الشعبي في العالم، بتدبير وتمويل أميركي.

أما السبب فهو ببساطة خشية الأميركيين من سقوط هذه الأنظمة المستبدة ومعظمها موالية لها، وصعود أنظمة وطنية تتوقف عن تبعيتها للعم سام، مما يعرض المصالح الأميركية للخطر.

وكما سنرى في الكتاب فإن ثورات جين شارب هي طبخة أميركية هدفها استباق سقوط أنظمة الطغيان التي صنعتها أميركا بنفسها، أو ساهمت هي في صنعها.

في هذا الكتاب سنتناول شخصية صاحب ثورات الألفية الثالثة جين شارب الذي صاغ بإحكام أخطر دليل عملي لإسقاط الأنظمة، وكيف استطاع تحويل كتبه التي تحمل أفكاره ونظرياته وآلياته وتكتيكاته إلى ثورات على أرض الواقع.

كما سنتناول بالتفصيل شرح والتعليق على أشهر وأخطر كتب شارب وهو كتابه أو دليل ثوراته " من الديكتاتورية إلى الديمقراطية "، وكذلك دوره في ثورات جمهوريات الاتحاد السوفيتي القديم، وكذلك ثورات ما يعرف بالربيع العربي.

هذا الكتاب يتناول الدور المشبوه الذي يلعبه شارب والذي يمكن أن يمتد تأثيره لعشرات السنين.

مجدي حسين كامل

الفصل الأول

فيلسوف أم عميل استخباراتي؟

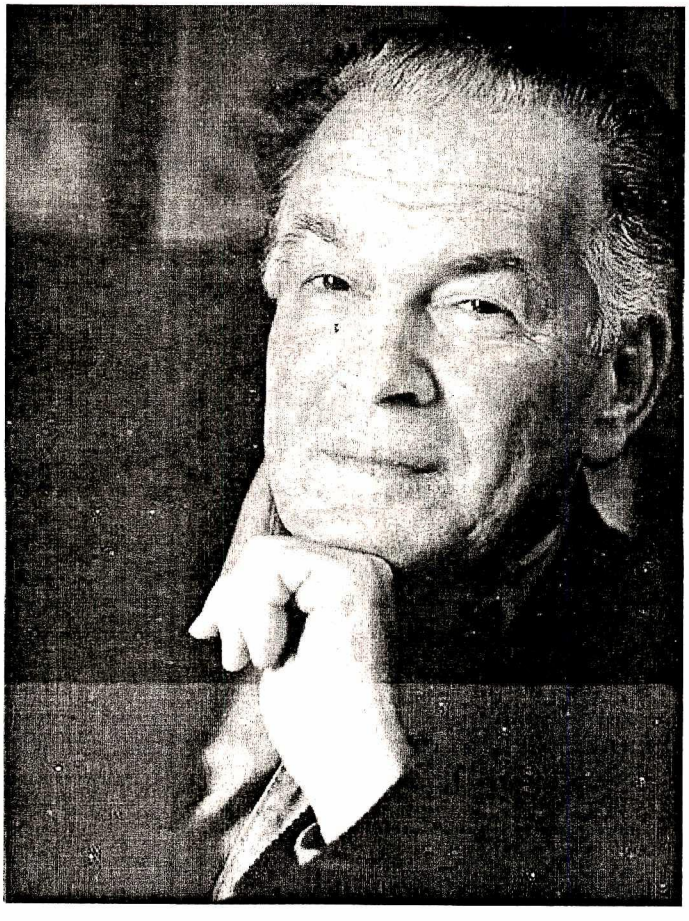

في أوائل عام 2008، وقبل فترة طويلة من اندلاع الثورة التونسية، أو حتى قبل أن يمتلئ ميدان التحرير في مصر بالثوار، حذرت الحكومة الإيرانية مواطنيها من أن مجموعة " من المتآمرين" الأجانب يعدون العدة للإطاحة بالحكومة الإيرانية، وحددت طهران بعض الأسماء المعروفة التي ستلعب دوراً في "عمليات تخريبية".

ومن بين هؤلاء الأشخاص الملياردير والناشط السياسي المعروف جورج سوروس، والمترشح للرئاسة الأميركية في ذلك الوقت، السيناتور جون ماكين، والمستشار الرئاسي الأميركي السابق ورئيس مجلس العلاقات الخارجية، ريتشارد هاس.

أما الشخص الذي وصفته إيران بأنه " رأس الشؤم "، الذي يقف وراء التسلل الأميركي إلى داخل الأراضي الإيرانية، فهو أكاديمي سابق في جامعة بوسطن غير معروف لمعظم دول العالم يسمى جين شارب، أكدت إيران أنه عميل للاستخبارات الأميركية المركزية " سي.آي.إيه ".

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يثير فيها شارب غضب أحد الأنظمة في العالم.

فبعد ثلاث سنوات من التحذير الذي أطلقته إيران عاد شارب مرة أخرى إلى بؤرة الاهتمام في الإعلام العالمي، مع ثورة يناير المصرية في عام 2011، كأشهر المحرضين على قلب نظام مبارك القمعي، وأبرز محركي الثورة ضده.

وكان شارب قد ظل 15 عاماً محررا لصحيفة إخبارية تحدد المسارات الممكنة لمواجهة الديكتاتوريات حول العالم، بدءاً من أدغال بورما مروراً بالاتحاد السوفييتي السابق، وانتهاء بمصر.

وبرز شارب محرضاً للثورات في العالم، انطلاقاً من معهد الأبحاث الذي أسسه عام 1983 وأطلق عليه اسم " ألبرت أينشتاين ".

ويحاول شارب تقديم نفسه كنسخة جديدة من الزعيم الهندي الراحل المهاتما غاندي، وزعيم الحقوق المدنية الأميركي الأسود الراحل مارتن لوثر كينغ، وكرمز للثورات المناهضة للديكتاتوريات في العالم.

لم يكتفِ النظام الإيراني بوصف شارب بأنه جاسوس للاستخبارات الأميركية المركزية، بل قدم أدلة على أنه قام بتجنيد مائة شخصية إيرانية معارضة خضعت للمحاكمة عام 2009، لقيامها بمحاولة قلب نظام الحكم تم تخطيطها مسبقاً، وأنها تمضي وفقاً لجدول زمني للوصول إلى ثورة ملونة وفقاً لتعليمات شارب. كما تعرض شارب للإدانة من قبل الرئيس الفنزويلي الراحل هوغو شافيز.

بعد ذلك كتبت وكالة " برس" للأنباء من القاهرة، بأن مجموعات معارضة مصرية اجتمعت في منازل خاصة لمناقشة تنظيم عصيان مدني يهدف إلى إسقاط نظام مبارك، وتقول الوكالة إن المعارضة نزّلت كتباً ألفها الأكاديمي الأميركي جين شارب وقامت بتنفيذها، وبعد خمسة أشهر من ذلك سقط نظام مبارك".

وعندما سقط سلوبودان ميلوسوفيتش في صربيا وفيكتور يانوكوفيتش في أوكرانيا ضحايا ثورات شارب السلمية أو الملونة التي اكتسحت شرق أوربا، نال جين شارب – علانية – العرفان والشكر من الحركات التي أطاحت بهما.

ومع قيام ثورة الياسمين في تونس، ومن بعدها ثورة يناير في مصر، لم يخل تقرير إخباري واحد، أو تحليل سياسي واحد، من اسم جين شارب باعتباره المسؤول الأول عن هاتين الثورتين السلميتين، كما كان هو من تم اعتباره المسؤول الأول أيضا عند قيام ما سبقتهما من ثورات سلمية في شرق أوربا لكونه مهندس هذه الثورات، الذي وضع إطارها النظري، وكذلك دليل عملها تفصيليًّا.

وعندما وصلت كتاباته إلى روسيا، أغارت الاستخبارات السرية على دار الطباعة أما المكتبات التي كانت تبيعها فقد احترقت.

أما الإيرانيون، فقد بلغ قلقهم حد إنتاج فيلم دعائى عن جين شارب يصوره يتآمر ويخطط لقلب نظام الحكم في إيران، من البيت الأبيض. واستغل الرئيس الراحل هوجو شافيز، أحد لقاءاته التليفزيونية الأسبوعية، ليحذر البلد ويعلن أن جين يشكل تهديدًا للأمن القومي لفنزويلا.

وحذر تشافيز شعبه من ثورات شارب الملونة، واقتنع الشعب الفنزويلي بخطورة ما يدعو إليه شارب، واستطاع الشعب بذلك أن يفسد خطة المعارضة الفنزويلية وأميركا للإطاحة برئيسهم.

وعلى مواقع يوتيوب، هناك فيلم لمدرب صربي يدعى سرجيو بوبوفيتش وهو رئيس منظمة "أوتوبور" وتعني باللغة العربية "قبضة اليد" وهو نفسه الشعار الذي اتخذته هذه المنظمة راية لها، واستنسخته منظمات كثيرة حول العالم، هذه المنظمة التي كانت ناشطة في تنظيم الاحتجاجات في دولة صربيا، وهي منظمة معروفة بارتباطاتها الأميركية كما يؤكد الصحافي الأميركي المتخصص في القضايا الاستخباراتية "ويليام إنجدال".

وقد اعترف هذا المدرب الصربي في مقابلة مسجلة في نفس الفيلم الوثائقي بأنه درب في مركزه المعروف باسم كانفاس في صربيا مجموعات هائلة من النشطاء والحقوقيين والسياسيين من 37 بلداً حول العالم على خطط وتصاميم وإستراتيجيات وتكتيكات وآليات كاملة لإسقاط الأنظمة بصورة احتجاجات مدنية وسلمية.

ويرى الكثيرون في الشرق والغرب أن التسميات تتعدد والاسم واحد، "الثورات الناعمة" أو الانقلابات الناعمة" أو " ثورات اللا عنف " التي تقوم في الوطن العربي ما هي إلا واجهة للحرب الاستعمارية التي خططت لها أميركا وإسرائيل، حيث قام "الأخطبوط الأميركي" المعروف باسم وكالة المخابرات المركزية الأميركية "سي آي إيه" باستحداث عدد كبير من المنظمات الإرهابية المقنعة.

"حرب اللا عنف" التي وضع آلياتها شارب هي التكتيك الجديد للغزو بلا تدخل عسكري حيث يتم الضغط على الدولة من الداخل بإضعاف أجهزتها، واختراقها

وإحراقها وإضعاف النظام فيها عن طريق الإضراب، ولزوم المنازل ورفض التعامل مع مؤسسات الدولة لإسقاط الدولة في الفوضى والديون، وبالتالي تدميرها بدون تدخل خارجي.

ومما يبين عمل شارب لحساب المخابرات الأميركية " سي.آي.إيه " أنه في فبراير من العام 1990، نظمت " مؤسسة ألبرت أينشتاين" التي أسسها ويديرها شارب مؤتمرًا حول العقوبات غير العنيفة. المؤتمر سجل حضور 185 من نشطاء 16 دولة وذلك في حضور الكولونيل روبرت هيلفي والكولونيل روفن غال.

وفي هذا اللقاء تم طرح وتبني مبادئ أممية همها الأول والأخير مكافحة الشيوعية عبر تعبئة الشعوب في إطار حركة لاعنف.

كما لم يتأخر البروفسور طوماس شيلينغ، رجل الاقتصاد المعروف وأحد مستشاري " سي آي إيه "، في الالتحاق بإدارة المؤسسة.

أما فيما يخص الميزانية الرسمية للمؤسسة، فلقد بقيت ثابتة. إلا أن الواقع شيء آخر، فالمؤسسة تستفيد من تمويلات وافرة من طرف "المؤسسة الجمهورية الدولية" (إنترناشيونال ربابلكن إنستوتيوت)، أحد فروع " الهيئة الوطنية للديمقراطية" (ناشيونال إنداومنت فور ديموكراسي) وهي من أذرع " سي.آي.إيه ".

في الوقت ذاته، طالبت دول البلطيق باستقلالها. وبعد شد وجذب مع ميخائيل غورباتشوف، وافقت تلك الدول على تأجيل قرارها سنتين أو ثلاثا حتى يتسنى لها التفاوض على التعويضات.

وفي شهر أكتوبر من العام 1990، وبلا إبطاء، سارع جين شارب وفريقه إلى السويد حيث اختارا مجموعة من السياسيين اللتوانيين في تنظيم مقاومة شعبية ضد الجيش الأحمر.

وبعد أشهر من ذلك، حين اندلعت الأزمة في مايو 1991، وما تلاها من نشر غورباتشوف لقواته الخاصة، كان جين شارب يغدق بنصائحه على الحزب المنشق

ساجيدس (مجموعة المبادرة للبريسترويكا)، وهو ما لم يشغله عن الرئيس فيتوتاس رانتسبيرغس.

وفي يونيو 1992، نظم وزير دفاع ليتوانيا المستقلة أودريوس بيتكيفيتشوس ندوة لتكريم العمل الجبار والحازم الذي قامت به " مؤسسة ألبرت أينشتاين" في سبيل تمكين دول البلطيق من نيل استقلالها.

وحينما بدأت الولايات المتحدة في إعادة التسليح، في العام 1998، أصبحت "مؤسسة ألبرت أينشتاين" إحدى الآليات الهامة في تلك الإستراتيجية التوسعية. كما زودت أوتوبور (المقاومة) بالأيديولوجية والتقنية اللازمة، وأوبتور هي مجموعة من الشباب المناهضين لحكم الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوسوفيتش.

في ذات الوقت، سارع جين شارب إلى إقليم كوسوفو قصد تأطير " العصبة الديمقراطية لكوسوفو " بقيادة إبراهيم ريغوفا. وإذا كان ريغوفا عديم الأهمية بالنسبة لواشنطن خلال حرب كوسوفو، فإن أوبتور لن تتأخر في طرح بديل لقلب نظام ميلوسوفيتش، الذي زادت شعبيته بشكل منقطع النظير خاصة بعد أن وقف ندًّا عنيدًا في وجه منظمة حلف الشمال الأطلسي. كل ذلك لم يله الكولونيل هيلفي عن الاستمرار في تأطير الكوادر خلال المؤتمرات والحلقات الدراسية التي احتضنها فندق هيلتون بالعاصمة بودابست.

وتدفقت الدولارات بغزارة لأجل إقبار آخر حكومة شيوعية في أوربا. أما العملية فلقد قادها، في عين المكان، العميل بول.ب ماكارتي، القابع سرًّا حينها في فندق موسكفا ببلغراد حتى إعلان ميلوسوفيتش استقالته في أكتوبر 2000.

وفي نوفمبر من العام 2002، حل جين شارب بلاهاي، حيث سيسهر بنفسه على تكوين أعضاء " المجلس الوطني العراقي " الذي كان يتأهب لمرافقة جيش الاحتلال الأميركي إلى العراق.

وفي نفس الشهر والسنة، عادت " مؤسسة ألبرت أينشتاين " لتنصح المعارضة بالطعن

في نتائج الانتخابات وبالتظاهر والمطالبة باستقالة إدوارد شيفرنادزه، وهو ما تأسست عليه "ثورة الورود" في جورجيا.

وفي أبريل 2002، وبعد أن فشل الانقلاب الذي نظمته "سي آي إيه" في فنزويلا، استنجدت وزارة الخارجية الأميركية مرة أخرى بـ "مؤسسة ألبرت أينشتاين"، التي لم تبخل بنصائحها لأرباب العمل، وخاصة دعوتهم إلى تنظيم استفتاء لإلغاء فوز الرئيس هوجو تشافيز. كما تكفل جين شارب وفريقه بتأطير قادة جمعية سيمايت خلال مظاهرات أغسطس من العام 2004.

وحسب إحدى التقنيات التي أصبحت كلاسيكية في يومنا هذا، فإن أولئك القادة كانوا مدعوين إلى التشكيك في الانتخابات والقول بأنها مزورة، ثم المطالبة برحيل الرئيس الشرعي للبلاد. ولقد نجحوا في إنزال الطبقة البرجوازية في كاراكاس إلى الشوارع، إلا أن الدعم الشعبي الكبير للنظام حال دون ذلك. فلم يبق أمام المراقبين الدوليين من خيار سوى الاعتراف بمشروعية الانتصار الذي حققه هوجو تشافيز.

أما جين شارب، وعلى العكس من ذلك، فلقد فشل في بيلاروسيا وزيمبابوي. والسبب في إخفاقه على ما يبدو هو التأخر في تجنيد وتكوين العدد الكافي من المتظاهرين والمعارضين للنظام القائم في كلا البلدين.

كما أن الكولونيل روبرت هيلفي لم يتأخر في حضور حلقات "الثورة" البرتقالية بأوكرانيا في نوفمبر 2004.

وأخيرًا، تجدر الإشارة إلى أن "مؤسسة ألبرت أينشتاين" بدأت في تكوين مجموعة من المعارضين ومثيري الفتن الإيرانيين.

ولد جين شارب في عام 1928 في أسرة رجل دين مسيحي وفي جامعات أوهايو. مكنه تفوقه العلمي من الحصول على الدرجات العلمية البكالوريوس والماجستير في النظرية السياسية، ولاحقا الدكتوراه من جامعة أوكسفورد في التخصص ذاته.

وعرفت الكثير من كبريات الجامعات الأميركية البروفيسور شارب كأستاذ ومحاضر،

ومنها جامعة هارفارد العريقة وفيها احتل مركز باحث في الشؤون الدولية لمدة ثلاثين عامًا، غير أن توجهه الفكري تمحور منذ وقت مبكر حول سياسات الحراك السلمي في وجه الديكتاتوريات السياسية والأنظمة القمعية، وقد أنشأ لذلك معهده الخاص "مؤسسة ألبرت أينشتاين" بتمويل كما يعرف من المخابرات الأميركية.

ولا يمكن الفصل بين نظريات شارب العميل الاستخباراتي الأميركي وبين الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها الدول المطلوب أميركيًّا الهيمنة عليها واستباق سقوط أنظمتها المستبدة بفعل ثورات شعبية غير مُسيطَر عليها، وتنصيب أنظمة وطنية لا تخدم مصالح أميركا بنفس القدر الذي كانت تفعله الأنظمة التي يمكن إسقاطها.

فقد استغلت أميركا نظريات شارب التي صاغها بالتعاون مع أجهزة استخباراتها ظروف الدول الداخلية لإحداث حراك شعبي يستهدف إسقاط الأنظمة تحت أعينها، وبمعاونة شخصيات معارضة بارزة لتوجيه هذه الهبات أو الانتفاضات أو الاحتجاجات والثورات في الاتجاه الأميركي.

فقد واجهت الشعوب في كثير من بلدان ثورات اللا عنف - كما صاغها شارب - خصمًا عنيدًا يتجسد في سلطة الدولة مزودة بقدرات اقتصادية وسياسية وأمنية وعسكرية.

وكان الشارع يمثل "الجماعة المظلومة" المطالبة بالتعبئة لتدمير نمط توزيع القوة داخل الدولة (المجموعة الحاكمة) من خلال وسائل الضغط وأدوات ذات بعد نفسي واجتماعي واقتصادي وسياسي وعقابي وضغط سلمي.

وقد حدد شارب ما يقرب من 200 أداة للاحتجاج الرمزي وعدم التعاون الاجتماعي والمقاطعة الاقتصادية والإضرابات العمالية وعدم التعاون السياسي مرورًا بالاعتصامات وإقامة حكومة ظل.

وتنطلق نظرية القوة غير العنيفة - عند شارب - من أن القوة التي تمتلكها المجموعة الحاكمة ليست نابعة من ذاتها، وإنما آتية من خارجها؛ فقوة الحكومة تستمدها من المجتمع الذي تحكمه والقائمة عن تفاعل السلطة من حيث الشرعية والموارد البشرية

الطائعة للحكومة والمهارات لتوفير احتياجات الحكم والحكومة.

أما العوامل غير الظاهرة فتتمثل في العوامل الأيديولوجية والنفسية؛ كعادات الطاعة والخضوع، ووجود عقيدة أيديولوجية عامة موالية للحاكم. أما الموارد المالية، فتتجسد في العوامل الطبيعية والاقتصادية ووسائل الاتصالات والنقل التي تحتكرها الحكومة، وكذا نمط العقوبات كأداة للضغط، التي تمارسها الحكومة على رعاياها.

وقد انطلق شارب في أطروحته الفكرية عن المقاومة المدنية أوالسلمية أوغير العنيفة، من أن الحكومة تعتمد في أساسها على طاعة المحكومين وتعاونهم، وأي خلل في هذه الطاعة يترتب عنه تحلل في قوة الحاكم إلى درجة فقدان السلطة والسيطرة على زمام الأمور.

وعليه يعتبر رفض التعاون مع الحاكم أمرًا خطيرًا وأداة سلمية ناجعة لقيادة الثورة والعصيان. في هذه الحالة قليلا ما تسعى الحكومة إلى تقديم تنازلات، وتسعى كثيرًا إلى أساليب الإكراه والعنف لمحاصرة عدم تعاون الشعب؛ إذ يتم استخدام أساليب الردع والعقاب عبر الأمن والشرطة والجيش.

رغم ذلك، تظل المجموعة الحاكمة قابلة للتفكك وتلقي الضغط المؤثر، فحتى استعمال أساليب العنف من طرف المجموعة الحاكمة يكون فعالا بقدر تعاون المحكومين وخضوعهم لهذه الأساليب الإكراهية، ولكن تبقى سلطة المجموعة الحاكمة مقيَّدة ومحدودة، إذ رفضت مجموعات مظلومة كثيرة، في مثل هذه الحالات، التراجع أمام كل المخاطر، بدافع من سلاح سلمي فعال هو "الإرادة" التي تغذي أسلوب عدم التعاون مع المجموعة الحاكمة.

وعندما يكون عدم التعاون شاملًا تتقلص قوة المجموعة الحاكمة، بقدر عدد السكان المشاركين في العصيان.

لذلك تستطيع القوة السلمية الهادئة والمقدامة، بنظر جين شارب، حل مشكلة قوة الحاكم التي تبدو مطلقة، وذلك من خلال عدم التعاون والاستمرار فيه.

إن مصدر القوة إذن - كما حدده شارب - ليس هو العنف، كما أن الذي يحسم الصراع ليس الذي يملك أكثر أدوات العنف (المجموعة الحاكمة في حالتنا) بل الإرادة والقدرة والوعي هي التي تحسم الصراع.

على هذا الأساس سعى شارب إلى التنظير للكيفية التي يمكن أن تحدث بها الشعوب التغيير ونزع السلطة من المجموعة الحاكمة، ورفع الظلم والطغيان اعتمادًا على قوتها الذاتية.

ويحدد مستوى العمل في آليتين: رفض التعاون مع المجموعة الحاكمة (النظام)، وأن يكون العمل جماعيًا وجماهيريًا هادرًا وسلميًا، إذ عندما تكون كتلة المجموعة الحاكمة متراصة وموحدة ومتضامنة، والمجموعة المظلومة/ الجمهور مشتتة ومفتقدة للتنظيم المستقل، تعجز المعارضة عن العمل الجماعي المؤثر، ويسهل على المجموعة الحاكمة النيل منها والتعامل معها فرادى، فنظرية القوة الذاتية كما نظر لها جين شارب، تتطلب مقاومة موحدة ومتضامنة.

وعمل شارب على دراسة ورصد عناصر القوة المجتمعية ضمن ما يسميه: "الأوضاع البنيوية للمجتمع"، أي مواضع القوة التي تتركز فيها أو تعبر عنها، والتي يمكن حصرها، على تباين المجتمعات والسياقات والمواقف، في الأسر، والطبقات الاجتماعية، والجماعات الدينية، والأجهزة الحكومية الصغيرة، والمنظمات التطوعية، والأحزاب السياسية، والتنظيمات الشبابية.

وقد تكون تنظيمات تقليدية قديمة أو حديثة تشكلت في خضم عمليات معارضة المجموعة الحاكمة.

وتتحدد قوة كل وحدة بناء على قدرتها على التحرك المستقل، وعلى امتلاك القوة الذاتية وكيفية استخدامها، وعلى درجة تماسكها الداخلي.

وتتحدد مراكز القوة هذه من خلال انتشارها في المجتمع، القوة العميقة للمجموعة الحاكمة، وكذا بنسبة الحريات السياسية في مجتمع ما. وعندما تكون هذه المراكز ضعيفة

ومحدودة الحركة، تتمدد سلطة المجموعة الحاكمة، ويصعب تقييدها أو السيطرة عليها، بل تضعف قوة الجماعة المظلومة وتتفكك، ويسود الطغيان والاستبداد.

فالسيطرة السلمية على قوة الحاكم لا تتم إلا بوجود جماعات ومؤسسات تمتلك القوة الاجتماعية، وقادرة على تعبئة الناس على عدم التعاون مع المجموعة الحاكمة، أي قطع مصادر القوة الخارجية للحاكم. وهذه الحركة الاجتماعية المستقلة تكون فعالة من خلال التطبيق الأمثل لأساليب الكفاح بعدم التعاون مع توفرها على مؤشرات واضحة للعمل، كالرغبة النسبية للمواطنين في تنظيم قوتهم، وعدد المنظمات والمؤسسات المستقلة، والقوة النسبية لهذه المنظمات والمؤسسات، ودرجة استقلاليتها في الحركة، ومصادر القوة التي تمتلكها وتسيطر عليها، وحجم القوة الاجتماعية التي تمتلكها والتي يمكن أن تستخدمها، والقدرة النسبية للمواطنين على طاعة الحاكم ودعمه والتعاون معه وتنفيذ رغباته.

أسلوب عدم التعاون وعدم الطاعة للحاكم، بنظر شارب، تسلبه قوته، بل تسلبه أهم ما تتأسس عليه حكومة أو نظام وهو الولاء؛ فلما تفتقد الطاعة تُعصى القوانين، ويتوقف العمال عن العمل، وترفض الإدارة تنفيذ التعليمات، فينهار الاقتصاد، عندها يتراخى الجنود وأفراد الشرطة وكل عناصر الأمن في تنفيذ الإجراءات العقابية على السكان، وقد يعلنون تمردهم فرادى ثم جماعات.

وإذ ا ما استمر هذا العصيان وعدم الطاعة في الزمن يفقد النظام قوته الداعمة والمغذية، لتصبح المجموعة الحاكمة مجرد أفراد عاديين، فقدوا الدعم البشري للشعب والمواطنين، فتتلاشى قوة النظام بشكل طبيعي.

التغيير السلمي، عبر العصيان وعدم الطاعة، الذي شكل الأسلوب الواسع والأكثر تأثيرًا في الربيع الديمقراطي - كما حدده شارب - ليس فقط اندفاعًا شعبيًّا هادرًا غير منظم وغير مخطَّط له، بل ما كان لينجح لولا توفر عناصر فعالة في التخطيط والتنظيم من داخل الحراك الشعبي السلمي، بل إن شارب يعتبر الحراك الشعبي خطرًا إذا لم يتسلح

بمهارات الكفاح السلمي طويل الأمد والاستمرار والممانعة رغم آلة القمع التي تزداد شراسة وفتكًا بالمعارضين والمنتفضين السلميين.

كفاح اللا عنف - كما يراه شارب - معركة حقيقية تتطلب حشد القوات والتوفر على إستراتيجيات وأساليب واضحة، كما تتطلب شجاعة المناضلين والتنظيم المتماسك والاستعداد للتضحية في أية لحظة، وتقديم الثمن الباهظ للتغيير والانتفاض. وكفاح اللا عنف، رغم أنه قد يطول فإنه قد حسم معارك التغيير في أيام (تونس ومصر،جزئيا) أو في شهور (اليمن)، وقد يستمر سنوات (سوريا)، فقد تمثلت هذه المستويات الزمنية في الربيع الديمقراطي.

ومعركة الحراك الشعبي السلمي تتحرك، بنظر شارب، على ثلاثة مستويات من الأسلحة هي: احتجاج اللا عنف والإقناع، وعدم التعاون، والتدخل اللا عنيف، بهذه الأساليب يمكن إحداث تغيير جذري في ميزان القوى لصالح القوة الداخلية للجماعة المظلومة ضد القوى الخارجية للمجموعة الحاكمة اعتمادًا على المسيرات والمواكب الاجتماعية، وإقامة الصلوات، وتعليق الملصقات ذات الدلالات التأثيرية الكبيرة على العقل والخيال، والحداد، والاجتماعات الاجتماعية، والإضراب عن الطعام، والاعتصام، وإقامة أنماط اجتماعية جديدة، والإضراب في مواقع العمل، وإنشاء المؤسسات الاقتصادية البديلة، والبحث عن السجناء، وإحداث الحكومات البديلة.

ويقدم شارب نظرية العمل بلا عنف كقوة قادرة على التأثير أكثر من أساليب العنف السياسي، ذلك أن الكفاح اللا عنيف يسلب المجموعة الحاكمة قوتها السياسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية عبر عملية استنزاف طويلة الأمد، كما يواجه الآلة الأمنية الشرسة للمجموعة الحاكمة بشكل غير مباشر عبر تعبئة القوة الجماهيرية للصمود والتحمل دفاعًا عن قضية عادلة ومصيرية مما يغلق قلوب المكافحين السلميين دون إلقاء الرعب عبر الآلة الإعلامية والدعائية للحاكم وحكومته.

وبالتالي حرمان الخصم من مصادر قوته الأساسية وهي تعاون المواطنين وخوفهم

برغم شراسة الخصم وعنفه بفرض الرقابة ومصادرة الأموال والممتلكات وقطع وسائل الاتصال والضغوط الاقتصادية والاعتقالات والتهديد بالعقوبات في المستقبل والضرب وإطلاق الرصاص والتعذيب والإعدام سرًّا وعلانية.

ولكن يبقى هذا العنف أقل أثرًا على الحركة الجماهيرية السلمية منه على حركة مقاومة عنيفة كحرب عصابات أو حرب نظامية أو حرب أهلية أو مجموعات مسلحة.

ويؤكد شارب على أن القمع لا يؤدي بالضرورة إلى إخضاع المنتفضين السلميين لأنه لا يطال عقول المواطنين ولا يؤدي إلى الخوف والاستعداد للطاعة؛ ولكن الجماعة المظلومة مطالبة بالحفاظ على تماسكها التنظيمي وتعزيز مواقعها والتقليل من عنف الخصم المستخدم ضدها، وفتح آفاق سلمية جديدة لحراكها الشعبي وفرصها في النجاح، مع العمل على تفجير مشاكل الخصم الداخلية وتشكيكه في قوته وعنفه وإفقاده التوازن السياسي، وتقليص حجم التأييد الذي قد يحظى به في الداخل أو في الخارج، فالانجرار إلى استعمال السلاح والعنف يعطي المبادرة للخصم ويتيح له تحديد الموقف، كما تعطى له فرصًا إضافية لتحقيق التفوق.

أما وحشيته ضد الحراك الشعبي السلمي فتقلص تأييده في الخارج وزيادة تأييد المنتفضين السلميين.

فالحفاظ على الطابع السلمي للحراك الشعبي هو الكفيل بإحداث تغييرات فارقة في توزيع القوة، وابتعاد المواطنين العاديين عن الحاكم وعن أدوات عنفه، بل تنخرط أعداد جديدة منهم في الحراك. كما سيتعرض عندها الحاكم لضغوط الخارج ومساوماته، مع أن الرأي العام الدولي يتفاوت نظره وحساباته من حالة إلى أخرى، وهو يشكل في الأخير دولا قوية ومهيمنة على القرار الدولي ومؤسساته، وذات مصالح إستراتيجية تسعى إلى الحفاظ عليها وقراءة أي حراك في سياقها.

وبقدر إمعان الحاكم في عنفه ووحشيته يفقد ثقة حتى المقربين منه الذين يشككون في عدالة قضيته، بل ويتحول ذلك الشك إلى معارضة وعصيان وانشقاق وتمرد وانضمام إلى

الحراك، وهذا ما شهدناه في الربيع الديمقراطي (تجربة ليبيا نموذجًا).

إن قمع المجموعة الحاكمة للجماعة المظلومة يمكن أن يرتد عليها في إطار عملية الجودو السياسي بتعبير شارب، هذه العملية التي تساهم في نمو قوة المنتفضين السلميين مع أن قوة كل طرف تتغير باستمرار وبسرعة وبحدة وبحسب مراحل التدافع والصراع في الميدان.

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك، كيف أن بعض الفصائل التي قادت ذاك الحراك السياسي، تلقت تدريبات بعينها في صربيا، حيث كانت فلسفة جين شارب قد بلورت منظمات بعينها للتصدير الثوري إن جاز التعبير.

والسؤال: كيف لشارب ومؤسسته تحقيق هذه الرسالة؟ وهل هي خالصة لوجه الديمقراطية أم أنها وكالة أصغر لذراع أكبر من ذراعين أميركيين، قال عنهما ذات مرة رجل الهند العظيم " جواهر لال نهرو " إننا محاصرون في منافسة بين قوتين أميركيتين، واحدة شريرة غامضة تستعمل للتطويع والإخضاع وهي وكالة المخابرات المركزية الأميركية، والثانية براقة وخداعة تستعمل للغواية والإغراء وهي هوليوود، ومشكلتنا أنه إذا فازت الأولى أصبحت حريتنا مهددة، وإذا ربحت الثانية أضحت ثقافتنا مهددة.

هناك ثلاثة أساليب تتبعها منظمة " ألبرت أينشتاين " لتحقيق أغراضها حول العالم وهي:

* تشجيع الأبحاث والدراسات السياسية حول أساليب العمل غير العنيف واستعمالاتها في الماضي في نزاعات مختلفة.
* طرح نتائج البحوث أمام الرأي العام من خلال المنشورات والمؤتمرات ووسائل الإعلام.
* التشاور مع المجموعات المتنازعة حول الإمكانية الإستراتيجية للعمل اللا عنيف.

ولعل أفضل من تعرض بالنقد والتحليل لرؤى وطروحات جين شارب، كان الكاتب والصحافي الفرنسي الشهير " تيري ميسان "، رئيس ومؤسس شبكة " ريزو

فولتير " الفرنسية، وعنده أن " المسار العلمي لـ" جين شارب " تميز بدراسته خلال سنوات الخمسينيات لنظرية العصيان المدني لصاحبيها "هنري ثورو" و "المهامتا غاندي"، فالطاعة والعصيان في منظور الشخصيتين، هما مسألتان أخلاقيتان أو دينيتان، قبل أن تكونا سياسيتين، كما تعارضان قانونًا فوقانيًا لنظام مدني، غير أن تجسيد قناعاتهما كانت له تبعات سياسية، بحيث إن ما كانا يعتبرانه غاية في حد ذاته، يمكن فهمه على أنه وسيلة فقط لذلك يمكن إذن اعتبار العصيان المدني تقنية في العمل السياسي لا بل العسكري ".

يلفت ميسان أيضا إلى أن الاستخبارات المركزية الأميركية عندما أدركت الثقل الفكري الذي يمثله جين شارب، أرسلت مسرعة إليه إخصائيًا في العمليات السرية الكولونيل " روبرت هيلفي " الذي كان يشغل حينها منصب عميد كلية تكوين الملحقين العسكريين الأميركيين في سفارات الولايات المتحدة الأميركية في الخارج ومن هنا كانت البدايات.

لعب شارب دورًا بالغ الأهمية في عدد من الدول حول العالم، ففي عام 1992 سافر إلى تايلاند وهناك قابل البورميين ـ نسبة إلى بورما ـ الديمقراطيين المنفيين هناك واستطاع بمساعدة هيلفي أن يتسلل عبر الحدود إلى داخل بورما ليحاضر أمام مجموعات العصابات داخل السجن.

ومن المثير جدا أن يتحقق الباحث في أوراق جيم شارب كيف أنه وجد مساعده "بريس جونكيز" في العاصمة الصينية بكين في يونيو حزيران 1989 أسبوعين قبل وقوع أحداث " تيين آن من " وإن لم يطل بهما المقام حيث طردتهما السلطات الصينية أيامًا قليلة بعد وصولهما.

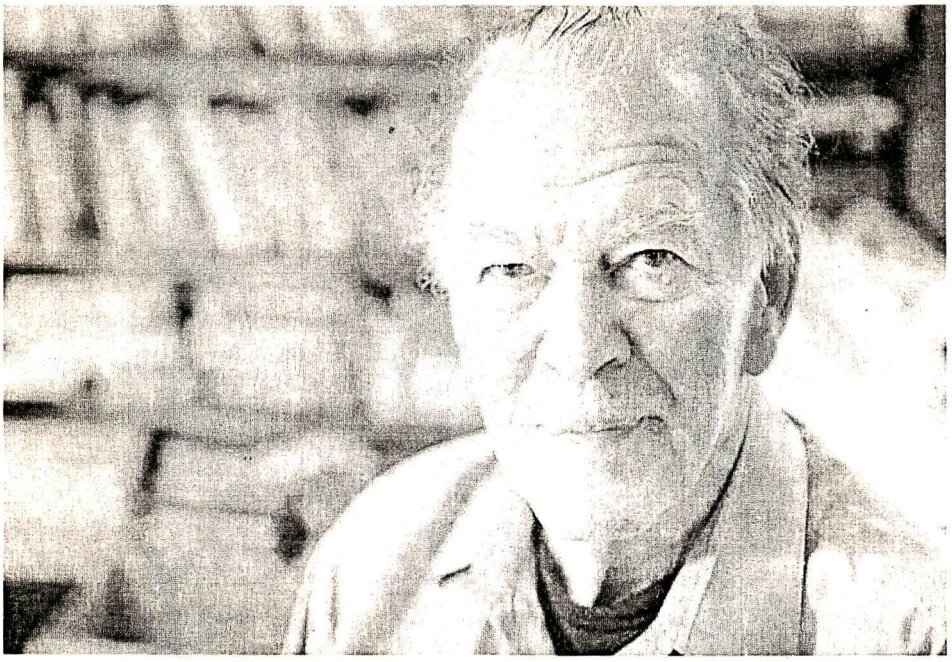

جين شارب أحد أبرز عملاء المخابرات المركزية الأميركية والملقب بـ "ميكافيللي اللا عنف" و" الأب الروحي لثورات ألوان قوس قزح " أو " الثورات الملونة ".

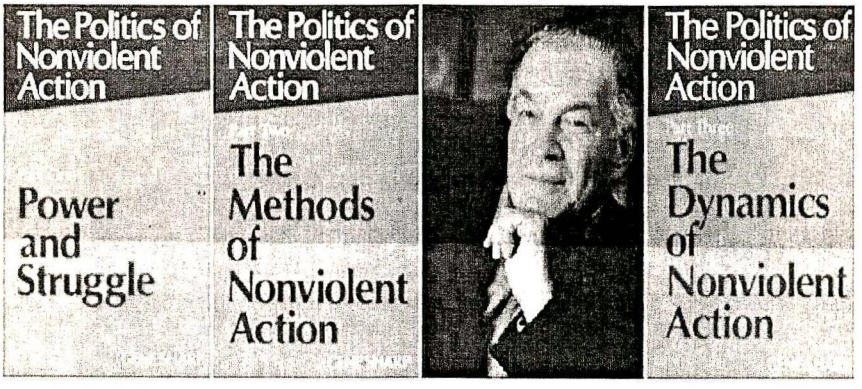

بعض كتابات شارب التي شكلت نظريته التي سار عليها العالم ومنها بعض الشعوب العربية في ثوراته السلمية والتي لم تخلُ من اتهامات بوجود أصابع أميركية وصهيونية وراءها.

الرئيس الفنزويلي الراحل هوجو تشافيز عندما كان يهاجم في خطابه الأسبوعي على التليفزيون جين شارب قائلا إنه يمثل خطرًا للأمن الفنزويلي بكتاباته التي تدعو لتفتيت الدول تحت دعوى الثورة من أجل الديمقراطية.

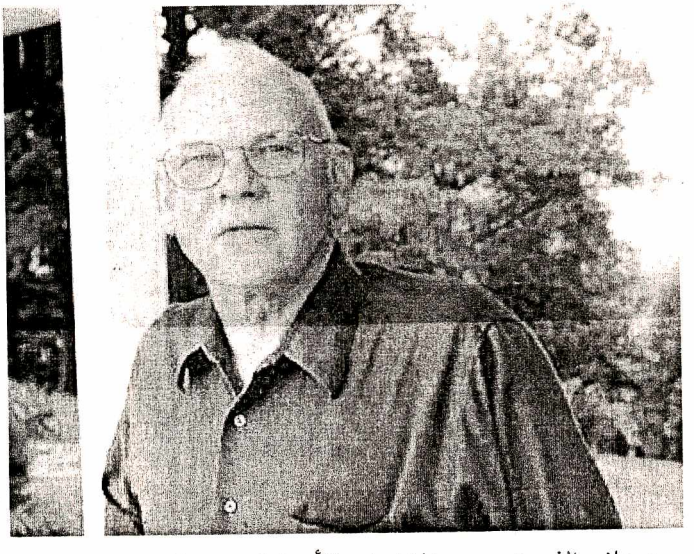

الكولونيل روبرت هلفي الذي زودت به المخابرات الأميركية جين شارب حتى يقودا عملية قلب نظم الحكم في الجمهوريات السوفيتية السابقة في إطار ثورات شارب السلمية.

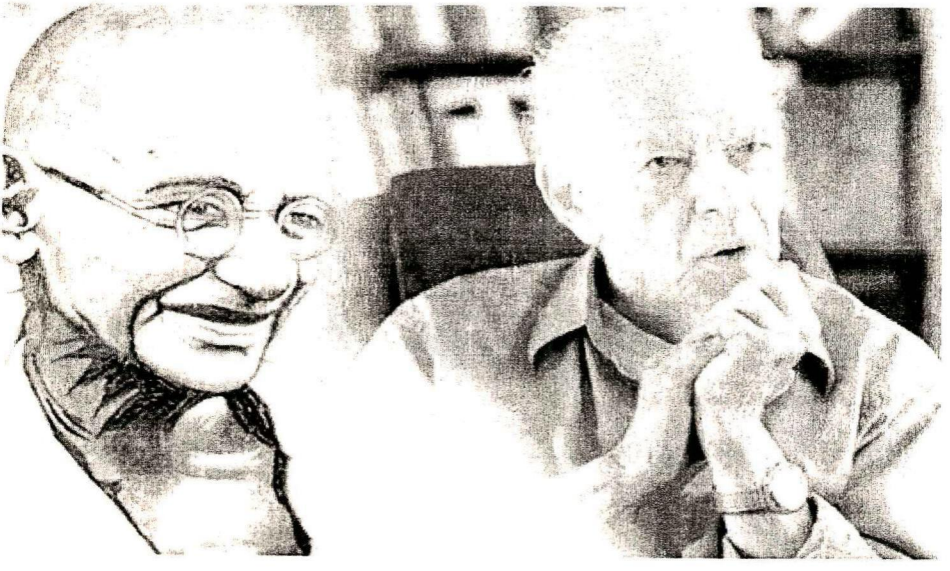

وهكذا اختلف العالم حول شارب كما يظهر هنا في موضوع غلاف مجلة " تايم " حول ثورات الربيع العربي.. وكيف أن البعض يؤكد أنه غاندي جديد في دعواه للنضال اللا عنيف..

بينما يؤكد آخرون أنه عميل استخباراتي وضع نظرياته بالتعاون والاتفاق مع وكالة المخابرات المركزية الأميركية " سي.آي. إيه".

الفصل الثاني

شارب
وأكرمان وآخرون

إذا كان جين شارب هو مؤسس نظرية حرب اللا عنف أو نضال اللا عنف أو الثورات السلمية أو الثورات الملونة فإن بيتر أكرمان هو المفعِّل الحقيقى لكل أفكار وأساليب معلمه جين شارب حول حرب اللا عنف وتكتيكات العصيان المدني وآليات إسقاط الأنظمة.

وقد نال أكرمان درجة الدكتوراه برسالة بعنوان "كيف يمكن للشعوب المقموعة إزاحة القوى الشمولية بدون خيارات عسكرية".

لذا، كانت دول أوربا الشرقية هي الأرض الخصبة التي تم فيها تحويل أفكار وتكتيكات جين شارب إلى تجارب مرئية محسوسة أدت إلى تفكك دول أوربا الشرقية بعد انهيار الاتحاد السوفيتى حيث قامت:

- ثورة الورد في جورجيا 2003
- الثورة البرتقالية في أوكرانيا 2004
- ثورة التيوليب في قيرغيزستان 2005
- ثورة الدنينم في روسيا البيضاء 2006

والحديث عن بيتر أكرمان يجرنا أيضا للحديث عن أستاذه الملياردير اليهودي جورج سوروس ودوره في إدارة الجانب المدني والفكري من إستراتيجية تحقيق أهداف الولايات المتحدة الأميركية بدون تدخل عسكري " الثورات الملونة " و"الفوضى الخلاقة"، وذلك من خلال الربط بين ما يعرف بالمنظمات غير الحكومية والأجندة الأميركية.

ولم يعد يخفى دور هذه المنظمات التي تتخذ من مراكز الدراسات الخاصة وحقوق

الإنسان واجهة لنشاطاتها، كـ " بيت الحرية " فريدوم هاوس " لأكرمان، و" معهد ألبرت أينشتاين " لشارب.

فقد بذل "سوروس" جهوداً كبيرة في هدم البلدان الاشتراكية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ابتداء من دعم حركة تضامن البولندية ومرورًا بالثورات في أوكرانيا وجورجيا وروسيا البيضاء.

وأكرمان نسخة كربون من جورج سوروس الملياردير الأميركي اليهودي الذي يمول هو وأكرمان ثورات لا عنف شارب. وأكرمان كما سوروس من حيث انفصامه السياسي الظاهر، فهو يهودي متعصب من جهة كما يدعي من جهة أخرى أنه ليبرالي. وأيضا من حيث اهتمامه وعلاقاته مع المنظمات المشبوهة التي تتخذ من الديمقراطية وحقوق الإنسان ومراكز الدراسات الخاصة واجهة لها.

كما أنه عضو في مجلس العلاقات الخارجية الأميركية وعضو المجلس التنفيذي للمعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية في لندن "أحد أذرع المخابرات البريطانية".

ويعمل أكرمان مع فريق يهودي برئاسة نائبته شازكا بايرل الموظفة في البنك الدولي.

وبعد إسقاط النظام في صربيا اتسعت أعمال المعارضة " أوتوبور " بقيادة سرجي بوبوفيتش، ثم تم تطويرها لمركز دراسات اللا عنف " كانفاس "حيث يقدم " كانفاس " تكتيكات لحروب اللا عـنف والمكافحة السلمية.

واضع إستراتيجيات وتكتيكات حرب اللا عنف والكفاح السلمي هو "جين شارب".

ويرجع الفضل في نشر أعمال جين شارب إلى تلميذه بيتر أكرمان حيث قام بتمويل "جين شارب" والتعاون معه لنشر أعماله، وتوسيعها لتنتشر حول العالم، فكانت بدايات جين شارب عن طريق معهد " ألبرت أينشتاين ".

ومعهد ألبرت أينشتاين مرتبط بالكولونيل روبرت هالفي وهو خبير حربي سابق

بجيش الولايات المتحدة الأميركية وبالتعاون مع جين شارب أفاد كثيراً من خبرته إلى تكتيكات حرب اللا عنف.

وإذا كانت حرب اللا عنف أو نضال اللا عنف التكنيك الجديد للغزو بلا تدخل عسكري، الذي صاغه شارب بكلمات براقة، وألبسه ثوب النوايا الحسنة، والأهداف المشروعة، إلا أن الحقيقة غير ذلك. ويمكن القول إن شارب عميل المخابرات الأميركية قد وضع السم في العسل، ووجدت المخابرات الأميركية فيه هو وتلميذه أكرمان غايتها المنشودة، حيث بات بإمكانها إسقاط النظام، واختطاف الدولة، دون حرب.

وبات لكثيرين أن حرب اللا عنف أو نضال اللا عنف، في حقيقته عملية ممنهجة ومنظمة، حيث يتم الضغط على الدولة من الداخل عن طريق الطابور الخامس بإضعاف أجهزة الدولة واختراقها وتدميرها وإحراقها وإضعاف النظام في الدولة عن طريق الإضراب ولزوم المنازل ورفض التعامل مع مؤسسات الدولة لإسقاط الدولة في الفوضى والديون وبالتالي تدميرها بدون تدخل خارجي.

ولعل هذا هو ما دفع باحثين أوربيين إلى التراجع مع الوقت عن مواقفهم المنفعلة بثورات شارب وأكرمان السلمية " الملونة " وتحمسهم في بداية الأمر لها، وكذلك لما أُطلق عليه " الربيع العربي" من الإعلام الأميركي والغربي عامة، واعتبار هذه الثورات طوق النجاة للدول من الأنظمة الفاسدة.

فقد تراجع هؤلاء عن مواقفهم، وراح الحماس يقل تدريجيّاً، ثم تلاشى بعد أن انكشفت النوايا الحقيقية لمخطط شارب وأكرمان وخلفهما المخابرات الأميركية والغربية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، سنجد الباحثة والإعلامية الأوربية المعروفة اشتيلنغ بيرن التي انشغلت طويلاً بهذه الثورات، ومنها ثورات الربيع العربي وتداعياتها وأحداثها، راحت تغير وجهة نظرها حيالها وموقفها منها شيئاً فشيئاً على ضوء ما جرى على أرض الواقع.

ونشرت بيرن موقفها لتفضح خفايا ما سمي "الثورات البرتقالية" التي وقعت في شرق أوربا من حيث أهدافها وأدواتها المختلفة ودور المخابرات الأميركية فيها.

كما ألقت الضوء أيضاً على خفايا الثورات العربية وما شهده الشارع العربي ولا يزال من تحركات وأحداث غريبة من نوعها، لافتة الانتباه إلى مجموعة من الظواهر المحددة التي برزت على هامش ما حصل والتي تستحق فعلاً أن يتم التوقف عندها. وقالت الباحثة الأوربية إن أبرز هذه الظواهر هي التحالف الملموس بين التكفيريين والجماعات والتيارات الليبرالية المرتبطة بالأجهزة الأطلسية على مختلف دولها وأنواعها.

وأن المرشد والموجه الأساسي لإعلام هذه الثورة المضادة ومراكزها الإقليمية والدولية هو " أكاديمية التغيير " التي يديرها فريق من اليهود، منهم جين شارب وبيتر أكرمان وغيرهما، وشعار هذه الأكاديمية يسمى " قبضة الكف".

وأضافت الباحثة أن الدور الذي لعبته ولا تزال جماعات أو مؤسسات التمويل الأجنبي غير الحكومية، ومنها على سبيل المثال: ما يسمى جماعات التمويل والإنماء الأميركية التي طرد المجلس الأعلى العسكري في مصر ممثليها وموظفيها بعد افتضاح دورها المشبوه والتخريبي في مصر في بداية الثورة المصرية ضد نظام حسني مبارك، كذلك طردت روسيا جماعات مماثلة كانت تعمل على أرضها وتعيث فيها فساداً.

وبعد استعراضها لأبرز الظواهر، تتوقع الباحثة والإعلامية الأوربية بيرن أن تكون روسيا وإيران هدفاً لقوى الثورة المضادة في وقت لاحق، وفقاً للخطط التي وضعتها واشنطن وعواصم أطلسية لهذا الغرض منذ أمد بعيد.

وترى بيرن أن المعركة التي تدور في سورية منذ أكثر من عام ونصف العام، ليست معركة حريات وتغيير ديمقراطي، بل معركة إقليمية دولية لها أهداف مركبة من أبرزها تعميم نموذج محدد من الولايات المتحدة وحلفائها "يخدم المصالح الأميركية والغربية" في دول المنطقة، حيث لا يبقى فيها أي نظام حكم معارض للسياسة الأميركية وللمشروع الصهيوني والأميركي الهادف إلى الهيمنة على المنطقة بشكل كامل، وهذا ما تنبهت له روسيا،

وتعمل مع سورية لقطع الطريق على هذا النموذج الأميركي الرجعي الذي يهدف إلى إعادة دول المنطقة عقوداً إلى الوراء ووضع شعوبها ودولها تحت الهيمنة الخارجية.

وبالفعل، هناك دلائل كثيرة حول أن تطبيق أفكار شارب على الأرض بمعاونة أكرمان والملياردير اليهودي الأميركي جورج سوروس لم يكن سوى مؤامرة ومكيدة مدبرة استغلت فيها مطالب الشعوب وتم فيها دفع الشعوب تحت شعارات وهمية لإسقاط الحكومات والشعوب والجيوش العربية مجتمعة الواحدة تلو الأخرى في مراحل نصف الثورات ودفعها للوصول لحالة الفوضى وعدم الاستقرار الأمنى والاقتصادي حتى تستنزف عسكريًا وأمنيًا واقتصاديًا ومعنويًا ومؤسساتيًا فيسهل احتلالها وتقسيمها تحت مسمى مشروع الشرق الأوسط الجديد.

فالثورات الملونة وحرب اللا عنف أو الكفاح السلمى كلها مفاهيم متفاوتة لمضامين متقاربة والهدف واحد.

ولا يمكن الحديث عن شارب وتلميذه أكرمان دون الربط بينهما وبين شخصيات أميركية أخرى يهودية حددنا منهم سوروس، كما لا يمكن أن نغفل دور المؤسسات الصهيونية التي تؤثر وتتحكم وتسيطر في الاقتصاد والسياسة العالمية ومن قبلها المخابرات الأميركية التي تخطط معها ومن قبلها شخصيات من المنظرين والمنفذين والممولين الأميركيين اليهود.

ومن المؤسسات الصهيونية التي تعمل في هذا الصدد "مجموعة الأزمات الدولية" بقيادة الملياردير اليهودي الصهيوني المتعصب شديد الكراهية للإسلام جورج سوروس، بالتعاون مع " المعهد الديموقراطي الأمريكي " وثيق الصلة بالمخابرات الأميركية وبعض المؤسسات الداعمة الأخرى أسسوا مجموعة من المؤسسات تتولى عملية التغيير في العالم نحو ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.

ومن تلك المؤسسات " مؤسسة جيل جديد " ومؤسسة " موفمنتس " و" ائتلاف الحركات الشبابية العالمي ".

وموفمنتس منظمة تدعم الناشطين تقنياً وفنياً حول العالم وتختار الناشطين لتستقطبهم للعمل بها وموفمنتس أي حركات منظمة هدفها تكوين حركات تغيير أنظمة الدول.

وبالطبع هناك منظمات حقوق الإنسان وعلى رأسها فريدوم هاوس وهيومن وتش وهيومن رايتس والنيد الأمريكي وفريدريشناومان إلخ.

لكن كيف سيحدث هذا التغير وما هي الديموقراطية المنشودة. التمويل متوفر قامت به مؤسسات عديدة على رأسها مؤسسة إدارة الأزمات العالمية بالملياردير جورج سورس والشركات التي يملكها يهود.

وهنا تظهر إلى جانب شارب وأكرمان وسوروس شخصية أخرى تتعاون وتنسق معهم وهي رونالد لويس الكاتب والمستشار اليهودي شديد الكراهية للإسلام والمسلمين والذي قام بتشويه صورة الإسلام واستعداء الغرب ضد الإسلام والعرب من ما يزيد على 60 عاماً.

وقام بتأليف أكثر من عشرين مؤلفاً ضد الإسلام والمسلمين ركز فيها على أن العرب والمسلمين قوم بدائيون جهلاء لا يمكن تمدنهم وتحضرهم لذلك عليهم إبادتهم كالهنود الحمر والاستيلاء على ثرواتهم بطريق مباشر أو غير مباشر يعني بالتواجد على الأرض أو بالاحتلال الفكري والمدني لما يتبقى منهم.

وقام لويس أيضا بعمل مشروع ضخم لإضعاف وتصفية الدول وذلك بتقسيم وبلقنة الدول على أسس عرقية وطائفية عن طريق نشر الفتن والفرقة بين الفرق والفئات المختلفة.

وحارب لويس من أجل مشروعه لسنوات عديدة وعمل مستشارًا للأمن القومي الأمريكي وعمل كمستشار للشؤون العربية وشؤون الشرق الأوسط واعتمد المشروع في الكونجرس الأمريكي عام 1982 بأغلبية ساحقة، وأخذ الإعداد لهذا المشروع منذ ذلك الحين بسياسات مختلفة وطرق مختلفة واقترح لذلك اقتراحات عديدة على رأسها "أنه لا مانع أن يكون شعارنا عند تنفيذ ذلك المخطط هو التحول الديموقراطي

للشعوب وأننا ندربهم على الديموقراطية " ومن هنا يلتقي لويس مع شارب وأكرمان وسوروس.

ولا يمكن الفصل بين هؤلاء ومخطط صهيوني أميركي آخر تبنته أميركا وأجهزة مخابراتها وهو مخطط برنارد لويس لتقسيم العالم العربي والإسلامي.

وبالتعاون مع جين شارب والملياردير اليهودي بيتر أكرمان قام الأخير بتأسيس "المركز العالمي لإستراتيجية اللا عنف والكفاح السلمى".

ويعمل على دعم احتلال البلاد دون إرسال جندى واحد لأراضيها، وذلك عن طريق دعم الأنظمة ضد الشعوب ودعم الشعوب ضد الأنظمة وشراء ولاءات منافسين من كلا الطرفين والشرطة والجيش.

فإستراتيجية المركز العالمي تعتمد على دعم الشعوب لإسقاط الأنظمة باستغلال دوافعها التي تم صناعتها على مدار سنوات واستغلال حالة الفوضى التي تسمى الفوضى الخلاقة لزرع الفتن والقلاقل وتأجيج الصراعات، إلى أن تنشب حرب أهلية وحرب شوارع تقوم على إثرها القوات الخارجية للتدخل لفض النزاع وتقسيم البلدان بعد إبادتها وتولية من أنظمة موالية للغرب.

وقد وفر جين شارب لتلك المرحلة كتيبًا بعنوان " تأجيج الصراع و198 طريقة لقلب نظام الحكم وتأجيج الصراع وافتعال الأزمات ".

وبعد وضع كل تلك الإستراتيجيات يأتي هنا دور التنفيذ ويظهر جارد كوهين يهودي صهيوني رئيس بنك الأفكار بجوجل وممول وعضو بارز في مؤسسة موفمنتس ليخرج لنا بالفيس بوك كآلية لاستقطاب الأفراد وحشد الجماعات نحو شعارات وأهداف مشتركة: ديموقراطية، حرية، عدالة، إخاء إلخ.

وحتى يتم صنع الحشد المناسب وينزل الناس للاحتجاج وما إن يتم الحشد المطلوب حتى تفاجأ بمفاجآت جين شارب وأقسام تحرق ومبانٍ تشتعل وقتلى من الجانبين وتطور رهيب غير متوقع في كل موقف.

ومن أهم الأهداف لنجاح العملية هو السيطرة الإعلامية وإنشاء قنوات جديدة لضمان التضليل الإعلامي المكثف وذكر الحقائق من طرف واحد والتي من شأنها استمرار الصراع كي لا يفيق الناس على حقيقة أي موقف واستغلال الطبيعة البشرية في الإعلاميين الذين لهم كراهية شديدة للأنظمة السابقة لاستمرار التصعيد ضد الأنظمة كي لا تكون هناك فرصة للناس للتفكير أو فهم ما يحدث.

ويمكن القول إن هذه المؤسسات هي التي قادت ومولت الثورات في دول البلقان بعد اعتماد مشروع برنارد لويس بنحو 3 سنوات بدأ الصراع يشتعل في دول البلقان وتم تنفيذه بنجاح منقطع النظير في دول شرق أوربا المسلمة من 1993 إلى 2008 في صراعات دائمة ومجازر لم يشهد لها التاريخ مثيلًا، كما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفو وصربيا وجورجيا وأوكرانيا وألبانيا إلخ، مع تعتيم إعلامي وتضليل للحقائق.

ولأن المشروع فشل في أفغانستان كان لابد من إيجاد أسباب أخرى لحرب عسكرية تقضي على أي مقاومة إسلامية موجودة في المنطقة.

وبعد نجاح التجربة الأولى في دول شرق أوربا كان العراق هو البلد الأول المرشح لذلك العمل باعتباره أقوى ترسانة أسلحة في المنطقة، لكن لم تستطع تلك الإستراتيجيات من القضاء على نظام صدام، وبعد إشعال الفتن والقلاقل والحرب مع إيران والكويت وقيام صدام بضرب الأكراد بغاز الخردل والأسلحة الممنوعة والتعامل بقوة شديدة مع كل من تسول له نفسه التمرد فكان الخيار التالى هو افتعال حرب عسكرية تحت أي مبرر، بينما تقوم مؤسسات حقوق الإنسان بعملها على أكمل وجه في باقي البلدان، ولأن الحرب العسكرية على العراق كانت طويلة الأمد وليست سهلة فكان لابد أن تقوم الولايات المتحدة بالتأكد من سقوط العراق ونظام صدام بالكامل وإشاعة كاملة للفوضى وزعزعة الاستقرار.

ومن ثم انطلقت للإعداد للثورات في الوطن العربى من عام 2000 وبعد توغل سنوات أسست حركات على غرار " كمارا "، وجرت عملية دعم الأحزاب واستقطاب الناشطين

من الأحزاب ومن مؤسسات المجتمع المدني تحت شعارات حرية المرأة وتنمية المجتمع وحقوق الطفل وجيل جديد إلخ واللعب على كل الاتجاهات واختراقات في كل مكان.

وفي عام 2008 سافر عدد من الناشطين للتدريب على الديموقراطية وإحداث التغيير في مصر، وذكرت كثير من الصحف موضوع السفر وارتاب في ذلك عدد كبير من الكتاب وكتب الكثير في ذلك السياق للتحذير من خطورة الموقف والتدبير لقلب نظام الحكم بإستراتيجية اللا عنف والكفاح السلمى لجين شارب على غرار ما حدث بالكتلة الشرقية بأوربا.

وفى أبريل 2008 أعلنت منظمة ائتلاف الحركات الثورية الأميركية عن تكوين حركة مصرية وائتلاف ثورة من عدد من الناشطين المصريين للإعداد للثورة في مصر في 25 يناير 2011.

وعلى مدار ثلاث سنوات بتكثيف عمل المجموعات على الفيسبوك وحشد الناس تحت أهداف وشعارات سلمية مشتركة (برنارد لويس)، حرية، عدالة، إخاء، ديموقراطية .. إلخ لتوفير الحشد اللازم لعمل الفوضى اللازمة وإسقاط النظام وشارك في الحركة والائتلاف ناشطون من أحزاب عدة.

واتضح فيما بعد أن أحد الخبراء السابقين لمنظمة ائتلاف الحركات الثورية الأميركية هو برنارد لويس بنفسه صاحب خطة تقسيم الشرق الأوسط والعالم العربي والإسلامي.

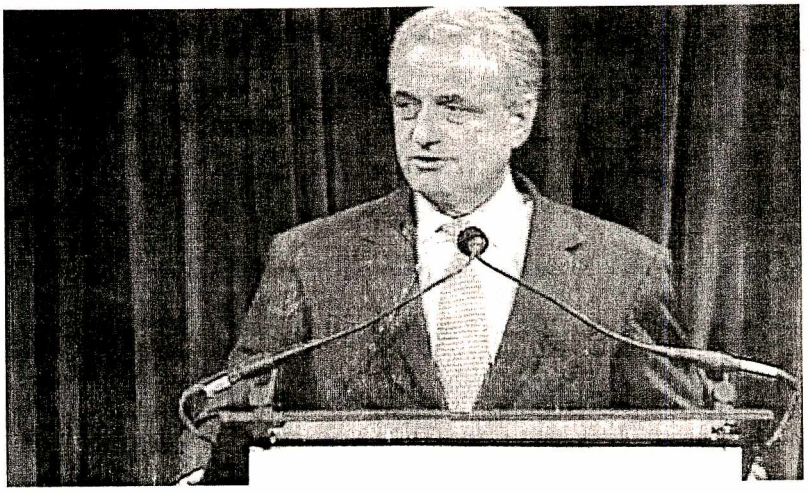

الملياردير الأميركي اليهودي بيتر أكرمان الذي قام مع ملياردير يهودي آخر هو جورج سوروس بتمويل ثورات شارب.

الملياردير اليهودي الصهيوني جورج سوروس أحد أكبر ممولي ثورات شارب التي تقف وراءها المخابرات الأميركية.

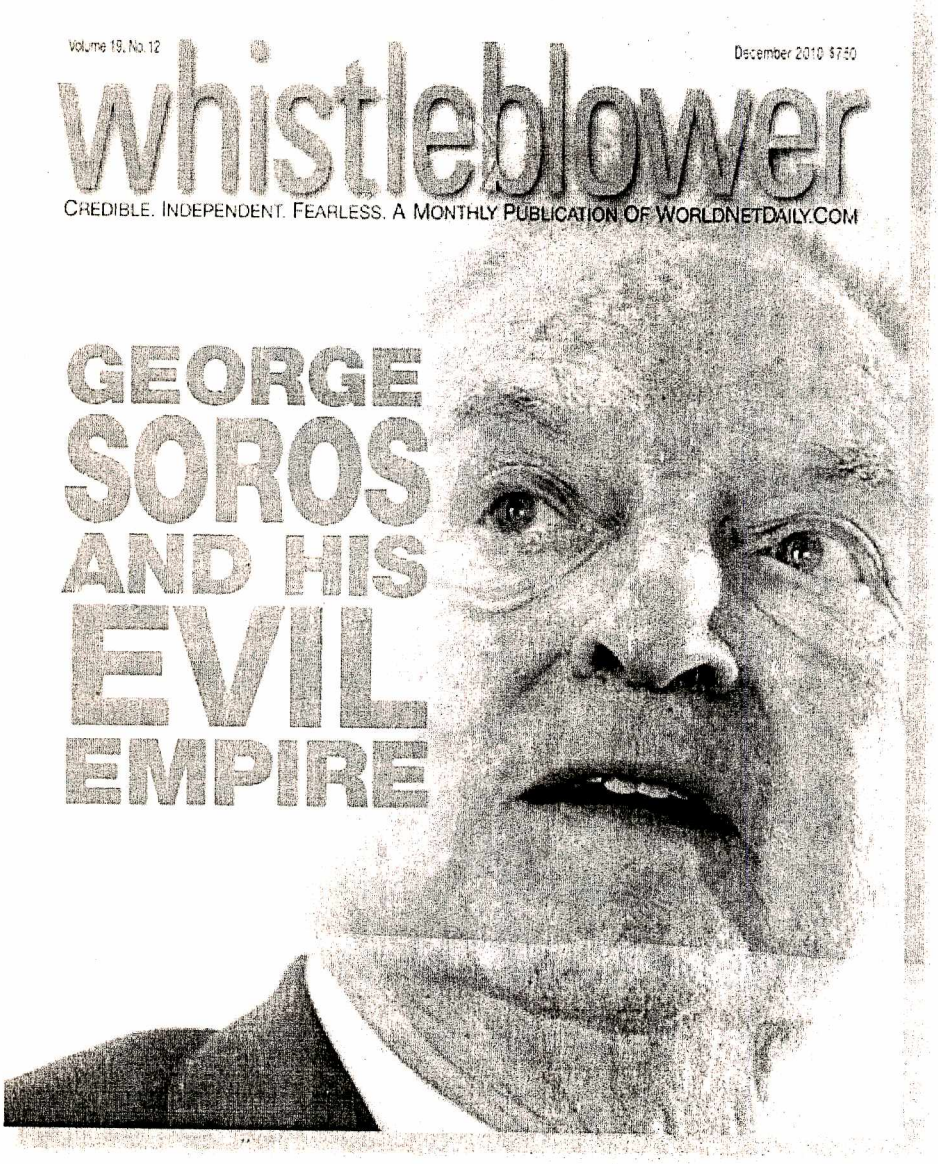

غلاف مجلة " جرس إنذار " التي جعلت سوروس موضوع غلافها واختارت له عنوانًا يقرأ " جورج سوروس وإمبراطورية الشر خاصته " في إشارة لأنشطته المشبوهة في البورصة.

المنظمات الممولة للثورات الملونة ومن بينها فريدوم هاوس التي أسسها أكرمان التي تبدو في الصورة بينها، وتُتهم بأنها أدوات تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير.

الفصل الثالث

ثورات لا عنف
أم انقلابات؟

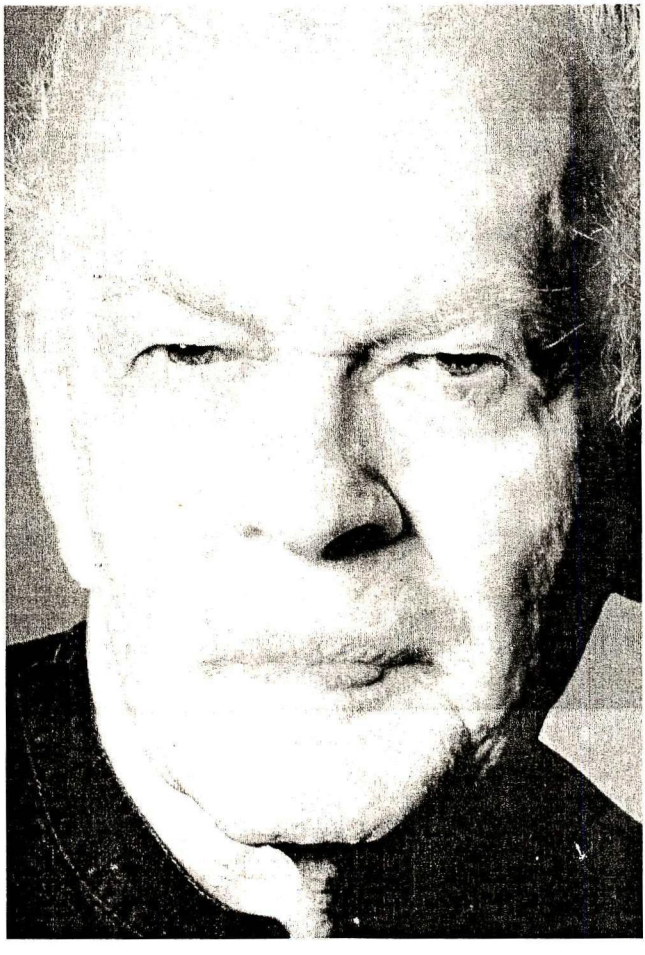

يمكن القول إن ثورات اللا عنف أو الثورات المخملية أو الملونة مستعارة من قواميس الاستخبارات وكواليس السفارات، الملقبة بألقاب مختلفة، والملونة بألوان شتى، والتي تأتي إلى السلطة عادة بأنظمة ليست أقل عداء للشعب من سابقاتها، ولكن تكون عادة أكثر ليونة واستعداداً لبيع مرافق البلاد الحيوية إلى الغرب الأميركي. ولا يمكن في الحقيقة اعتبار هذه الثورات التي وقعت في السنوات الأخيرة في عدد من البلدان، إلا جزءاً من تكتيك تعتمده الولايات المتحدة ويندرج تحت ما يسمى بـ الفوضى البناءة، للهيمنة على العالم كله.

ويتواءم تكتيك الثورات المخملية مع تكتيك إشاعة الديموقراطية في صيغتها المتداولة حالياً في أرجاء المعمورة، ليتجسد كلا الشعارين أحياناً حروباً فعلية تُشن على بعض الدول بعينها.

فالسلمية والحروب التي تُستخدم فيها الأسلحة تشكلان إذاً وجهين لعملة واحدة.

ولئن كانت الانقلابات العسكرية في الماضي والحاضر ممكنة بالنسبة إلى الأميركيين كأحد الأساليب لإيجاد أنظمة موالية لهم، إلاّ أن علته الكبرى أنه أسلوب مفضوح يفتقر إلى الشرعية. فالثورات المخملية هي أيضا شكل من أشكال الانقلاب، ولكنه انقلاب يحافظ على مظاهر الشرعية حيال الرأي العام ويندرج في الظاهر ضمن إطار إيجابي من إشاعة للديموقراطية، في حين أنه يكون حركة مرائية غير صادقة، حسب ما تبين الأحداث.

وعلى الرغم من أن مصطلح الثورة السلمية ظهر لأول مرة بعد حرب الأطلسي على يوغوسلافيا التي أفضت لاحقاً، ومن خلال ثورة مخملية أعقبتها، إلى نقل السلطة في هذا البلد إلى موالين للأميركيين والغرب.

وقد بيَّنت تجربة الثورات المخملية في العديد من البلدان أن هذه المعارضةكانت تستغل في أحيان كثيرة حدثاً ما كعملية اغتيال أو أي عملية إرهابية أخرى، للقفز إلى سدة السلطة.

ذاك ما آلت إليه مثلاً أحداث جمهورية صربيا بُعيد الحرب التي شنّها الحلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة على يوغوسلافيا لإزاحة الرئيس السابق ميلوسوفيتش، وهي التي عرفت بـ الثورة القرنفلية.

ثم جاءت لاحقاً أحداث جمهورية جورجيا (السوفيتية سابقاً) المعروفة بثورة الورود والتي أزاحت من السلطة الحليف الهرم للولايات المتحدة إدوارد شيفارنادزه، وأحلت محله الحليف الجديد اللامع ميخائيل ساكاشفيلي.

وكانت انتخابات الرئاسة في أوكرانيا التي حظيت بتسمية الثورة البرتقالية حيث بات الصراع بين ممثلي طرفي الفاعليات المالية والاقتصادية، بعد أن كان قبل ذلك بين طرفي السلطة والمعارضة اليسارية، ففاز في المعركة من اعتبِر حليف الغرب، فيكتور يوشنكو، ليحل محل فيكتور يانوكوفيتش المحسوب على موسكو.

وجاءت انتخابات البرلمان والرئاسة في قرغيزيا التي أزاحت الرئيس عسكر أكايف بعد أن جلس طويلاً على كرسي موسكو وواشنطن المتعِبين بمنحه كليهما الحق في إقامة قواعد عسكرية في بلاده.

والحقيقة أن أكثر ما عانت منها ثورات اللا عنف أو الثورات السلمية أو الملونة وكلها كما أسلفنا مسميات تشير إلى نفس المعنى هو وجود طابور خامس يدين بالولاء لأميركا والغرب.

ومما يؤكد ذلك ما جاء في المبدأ الجديد لـ "إستراتيجية الأمن القومي": " إن سياسة الولايات المتحدة هي البحث عن الحركات والمؤسسات الديموقراطية في كل أمة وكل ثقافة ودعمها من أجل الهدف النهائي ألا وهو القضاء على الطغيان في العالم".

وإذا ترجمنا هذه العبارة وجدنا أنها تعني وحسب أن على الاستخبارات الأميركية أن

تعثر في كل بلد لا يروقها على " طابور خامس" فتموله، أي على ضروب شتى " المدافعين عن حقوق الإنسان" و" المنشقين" و" الباحثين عن الحقيقة" الذين سيكون عليهم أن يحققوا " ثورة ملونة"بألوان البلد المقصود ورموزه، لصالح الولايات المتحدة.

وهكذا يعطي هذا المبدأ روشتة إعداد مثل هذه الانقلابات. فتجب بدايةً إدانة انتهاكات حقوق الإنسان إدانة حازمة، أو إحداث عملية مدوية واتهام جهات بها تعدّها الولايات المتحدة خصماً لها، وتأليب الجمهور على الفاعل ثم عقد لقاءات في البيت الأبيض مع " الإصلاحيين من البلدان المظلومة"، ثم المساعدة على إجراء انتخابات ديموقراطية حرة وفي ظل شراء الأصوات واستخدام المشاعر الطائفية، على أوسع نطاق وإقامة المجتمع المدني.

هذا السيناريو المعتمد، والذي قد تختلف تفاصيله باختلاف ظروف البلد المعني. ولقد تفنّنت الاستخبارات الأميركية في صنعه لدرجة أن أي تعديلات عليه لم تعد تلزم من حيث الجوهر.

وقد نجح رأس المال العالمي حتى الآن في إشعال الثورة القرنفلية في صربيا والثورة البرتقالية في أوكرانيا وثورة الورود في جورجيا وثورة الخشخاش الأحمر في قرغيزيا.

وثمة الكثير مما يجمع بينها. فمضمون هذه الثورات يكمن في كل مكان في تغيير الزعيم غير المنسجم كلياً مع المصالح التجارية والسياسية لأميركا ليحل محله زعيم أكثر انسجاماً مع هذه المصالح، زعيم يكون غالباً «في الجَيب».

وهنا يبدو مشروع تصدير الديموقراطية إلى بلدان الشرق الأوسط الكبير مثابة إطار لثورات مخملية تطال كل هذه البلدان.

يمكن اعتبار فوز مرشحي «الثورات المخملية» إلى حدّ بعيد وكأنه انقلاب. انقلاب وليس ثورة كما يحلو للبعض القول.

فالذي يحدث هو إعادة توزيع جبنة السلطة بين أطراف الفعاليات الاقتصادية النافذة نفسها، بين أطراف الإقطاع السياسي المتناوب على السلطة، فيما التمثيل الشعبي

الحقيقي في السلطة يبقى مغيباً، فتنتقل سلطة التقرير من طرف ينتمي إلى هذه الفاعليات إلى طرف آخر من طينتها نفسها أيضًا. وما الانقلاب سوى انتقال للسلطة من طرف إلى آخر داخل الطبقة نفسها، ولكن، خلافًا للتقاليد الديموقراطية المعمول بها في مثل هذا الانتقال، وعبر انتخابات "شرعية ونزيهة وهادئة".

وهناك مؤشرات حول أن ثورات لا عنف شارب أو الثورات الملونة التي اجتاحت عددًا من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ما بعد الانهيار هي حركات مشبوهة وهي قد تقترب أو تبتعد في مفهومها عن الوطنية إلا أنها رهينة التآمر الدولي.

والرؤية الحقيقية لهذه الثورات كما يطلق عليها من ثورات هي رؤية ترتكز على تقليب أو استغلال الوضع السياسي والاقتصادي وتأثيراتها على زعزعة سيادة القانون.

ويرى المحللون السياسيون أن الدعم الشعبي لهذه الثورات ينبع عادة من القناعة الشعبية بأن الوضع الراهن لا يُحتمل.

ومما يجعل شبهات التآمر الغربي واضحة في هذه الثورات بسبب تدخلات الغرب في تغيير الأنظمة القائمة التي أصبحت معروفة من حيث كيف تجري وتنظم هذه الثورات، وكيف كانت هدفًا للدراسة والإعداد في العديد من المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية الكبيرة في الغرب.

ففي فيلم وثائقي عرضته قناة روسيا التلفزيونية الحكومية أكد الفيلم أن الولايات المتحدة أنفقت 110 ملايين دولار على الثورتين الملونتين في أوكرانيا وقيرغيزيا.

وبحسب الفيلم الوثائقي الفرنسي "غزو الشرق" توصل المنتجون أن هذه الثورات قد صنعت في أميركا وبحسب المنتجين أنفسهم، تمّت تجربة هذه الطريقة في صنع هذه الثورات للمرة الأولى في صربيا، حيث كان المناخ مناسباً لاستخدام طروحات كتاب المؤلّف الأميركي جين شارب من الديكتاتورية إلى الديموقراطية، الذي يعدّ دليلاً في استخدام الثورات السلمية بوصفات مبسطة.

وهناك دلائل على أن إسقاط نظام سلوبودان ميلوسوفيتش في صربيا عام 2000، وإزاحة

الرئيس الجورجي السابق إدوارد شيفارنادزه عام 2003، ووصول فيكتور يوتشينكو إلى سدة الرئاسة في كييف عام 2004، تؤلف جميعها حلقات في سلسلة واحدة.

ففي أربع ثورات سلمية أطاحت خلال أسابيع معدودة بأربعة أنظمة شمولية، وفي كل مرة كان يستخدم السيناريو نفسه: اتهام السلطة بتزوير الانتخابات، ومقاومة أرباب السلطة المرتعشين في البداية، وتنازلهم في نهاية الأمر عن السلطة للمنتفضين.

ومؤلفو الفيلم على اقتناع بأن الإدارة الأميركية هي التي تصنع وتمول تقنية الثورات الملونة ومخرجيها وأبطالها تحت غطاء صناديق ومؤسسات أميركية مختلفة.

وإذا كانت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركيّة قد ألفت سرًّا، في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، خلايا الأحزاب والمنظمات السياسية في مختلف البلدان، فقد اتخذ قرار فيما بعد، بأن يكون مثل هذا النشاط علنيًا وشفافاً.

والعملية الأخيرة هي بالتحديد ما تقوم به مؤسسات وصناديق مثل صندوق جورج سوروس " المجتمع المفتوح "، الذي شارك بنشاط في الثورة الجورجية، ومؤسسة فريدوم هاوس (بيت الحرية)، التي أصدرت قبيل الثورة القرغيزية 6 صحف سياسية قرغيزية معارضة ساهمت إلى حد كبير في خلع الرئيس عسكر أكايف، وكذلك "المعهد الجمهوري الدولي"، ينشر الديموقراطية في العالم. أما صانعو هذه الانقلابات، الذين يفضلون البقاء في الظل، فيرى المحلّلون أنهم على ثقة بأن ما يفعلونه هو لأهداف خيرة.

وفي السياق، علق رئيس مؤسسة فريدوم هاوس، التي طبعت كتاب "من الديكتاتورية إلى الديمقراطية" لجين شارب في قرغيزيا، قائلاً: " لقد شغلنا كثيراً بهذه الثورات الملونة، ونحن بحاجة إلى ثورة خضراء، ثورة الدولار. أعطونا نقوداً ونحن نطبع كل ما ترغبون"!

وقد قدمت وزارة الخارجية الأميركية 110 ملايين دولار من الكونغرس لصندوق مساندة حقوق الإنسان والديمقراطية الحكومي لمساندة جهود الولايات المتحدة في تعميم الديمقراطية في الدول الأجنبية.

كذلك أيضا من المؤسسات التي اهتمت بدراسة الثورات الملونة معهد ألبرت أينشتاين الذي أسسه شارب – كما أسلفنا – في الولايات المتحدة الأميركية وقد سميت أهدافه في البيان الرسمي:"الدراسة والبحث بهدف استخدام النضال الخالي من العنف ضد الديكتاتوريات، والحروب، والاضطهاد.

يرأس هذا المعهد ضابط سابق في استخبارات وزارة الدفاع الأميركية هو العقيد روبرت هيلوي؛ وشارب بروفيسور جامعة هارفارد والذي ترجمت أعماله المكرسة لاستخدام النضال السلمي في إسقاط السلطات الحكومية إلى 27 لغة.

ويمول هذا المعهد من أموال "الصناديق الخيرية " لرجل الأعمال الأميركي اليهودي سوروس. وكان ضمن أعضاء المجلس الاستشاري لمنظمة "المركز الدولي للدراسات السياسية" الممولة من قبل الحكومة الأميركية عبر "مبادرة التعاون بين بولندا وأميركا وأوكرانيا" وهي مؤسسة تدعمها الوكالة الأميركية للتنمية، وتشرف عليها مؤسسة "فريدوم هاوس"، التي تقدم المنح للنشطاء.

ومنذ تأسيس معهد ألبرت أينشتاين يقوم شارب ومساعدوه دائمًا بالسفر إلى المناطق التي يراد إقامة انقلابات فيها من أجل "مساندة الثورات"وكان شارب المنسق الأساسي أثناء الانقلاب الذي دبرته الولايات المتحدة في كل من صربيا وأوكرانيا التي منحتهما تركيزًا كبيرًا على إحداث الثورات الملونة فيها (جورجيا وأوكرانيا وقيرغيزستان) لأن روسيا ما تزال تشكل هاجسًا يقلق صانعي القرار في الولايات المتحدة، حيث إن روسيا لا بد وأن تستعيد عافيتها وتعود دولة عظمى لها وزنها على الساحة الدولية وستستغل المخزون العسكري الذي ورثته عن الاتحاد السوفييتي لتنفيذ طموحاتها المستقبلية، وبالتالي فإن جلب الولايات المتحدة لأنظمة موالية لها في الجوار الروسي سوف يمكنها من احتواء روسيا ودول القوقاز وآسيا الوسطى.

ومن هنا تزداد الأهمية لمعرفة مدى نجاح الأحداث الثورية التي وجدت لها الأرضية الخصبة في جمهوريات أوكرانيا العام 2004 ولون الثورة برتقالي، وجورجيا العام 2003

ولون الثورة حمراء بلون الورد، وقرغيزستان العام 2005 ولون الثورة صفراء أيضًا بلون الورد الأصفر.

هذه الثورات لم تكن ذات أهمية ولم يكن موضوع تلوين الديمقراطية واردًا في مثل هذه المناطق في عهد بوريس يلتسين فكان اللون واحدًا ونقطة السيطرة السياسية هي في قلب موسكو، وكان الكرملين هو البوصلة السياسية لأميركا وحلفائها للسيطرة على جمهوريات السوفييت.

لكن نفور الكرملين من إملاءات القطب الأوحد بعد بوريس يلتسين حاول ويحاول هذا القطب (الولايات المتحدة) امتلاك مفاتيح القوى في المنطقة من خلال عقد الصفقات الثورية.

لذلك فإن العديد من المحللين السياسيين يدقون أجراس الخطر لعودة تنفيذ سيناريوهات الثورات الملونة في أراضي جمهورية أرمينيا وهي الحليف الوحيد لروسيا قبل الاعتراف باستقلال أوسيتيا وأبخازيا الواقعتين في منطقة القوقاز، وهو ما يعارض السياسات الخارجية المتبنية لتلك الثورات المتعطشة للسيطرة على جنوب هذه المنطقة من خلال حلف شمال الأطلسي.

المتابع لعملية التحول الديمقراطي في دول أوربا الشرقية يعرف أنها شهدت موجتين رئيسيتين في هذا الصدد، واحدة ناجحة وهي الموجة الأولى، وأخرى متعثرة، وهي الموجة الثانية.

فقد بدأت الموجة الأولى في نهاية الثمانينيات في بولندا ثم انتقلت إلى تشيكوسلوفاكيا والمجر، أما الموجة الثانية فقد بدأت مع الألفية الثانية في صربيا، وأوكرانيا، وجورجيا، وعرفت باسم موجة الثورات الملونة.

والحقيقة هي أن الحالة السياسية المصرية المتعثرة بعد ثورة 25 يناير تتشابه بقدر كبير مع حالة دول الثورات الملونة التي عرفت انتقالا لا يزال متعثرًا نحو الديمقراطية في أحيان بل ارتداداً نحو السلطوية في أخرى. ويظهر هذا التشابه بصورة واضحة، على

الأقل، على صعيدين:

أما الصعيد الأول فيتعلق بقدرة السلطة التنفيذية على إجراء إصلاحات مؤسسية جذرية تحقق الكفاءة الإدارية وتغير من القواعد القديمة الحاكمة للعمل.

وهو الأمر الذي نجحت فيه بصورة واضحة دول الموجة الأولى للتحول الديمقراطي في أوربا الشرقية، ولم تنجح فيه مصر قط سواء تحت سلطة المجلس العسكرى سابقًا أو تحت حكم الرئيس المعزول محمد مرسي.

وتتشابه هذه الوضعية مع دول مثل صربيا وأوكرانيا مثلا. فقد تم اغتيال رئيس الوزراء الصربى الجديد على يد قوات المؤسسة الأمنية العصية عن الهيكلة والإصلاح، بعد استبعادهم منها. أما في أوكرانيا، فقد شهدنا توجه العملية السياسية برمتها إلى السلطوية بعد فوز مرشح النظام القديم في أول انتخابات حرة ونزيهة عقدت في 2010 في أعقاب الثورة البرتقالية المندلعة في 2004.

أما الصعيد الثانى فيخص صناعة التنظيم والمشروع البديل. فقد اكتفى مناصرو الثورة المصرية في أوقات عديدة بالاحتجاج على القديم وغفلوا عن تقديم ما هو جديد.

والحقيقة هي أن إحدى النقاط المفصلية في نجاح أي تجربة للتحول نحو الديمقراطية تتعلق بالقدرة على تقديم البديل الفكري والتنظيمي القادر على نقل البلاد بأمان نحوها. هل كان يمكن أن نتخيل أن تصمد بولندا في التحول نحو نظام جديد بالكلية بلا وجود "حركة تضامن"؟

فقد ضمت شتى أطياف المجتمع من نقابات عمالية وطلابية بجانب النخبة الفكرية، فوصل عددها إلى 10 ملايين نسمة في 1989. يتشابه الوضع في مصر في كثير من وجوهه مع الحالة الأوكرانية حيث ظلت الثورة البرتقالية مرتكزة على قواعد اجتماعية من جيل الشباب خاصة من الحركة الطلابية "بورا"، بالإضافة إلى صغار رجال الأعمال من الطبقة المتوسطة. والمشكلة هي أنها لم تنجح- بعكس حركة تضامن في بولندا- في تقديم بديل

ذى قواعد اجتماعية منتشرة أفقيًا وقادرة على خلق حالة مجتمعية شاملة مؤمنة "بمشروع التغيير".

وسوف نتناول هنا تجربة جورجيا مع ثورات لا عنف شارب أو الثورات السلمية والملونة.

فقد راهنت النخب السياسية الجورجية وحزب الحركة المتحدة بقيادة الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي، المحامي وحامل الجنسية الأميركية وزعيم الثورة الملونة والتي عرفت باسم الثورة "الوردية" أو القرمزية، راهنوا على مفاعيل ارتباطهم بمحور تل أبيب - واشنطن في القوقاز، ومع دول الاتحاد الأوربي وحلف الناتو من أجل تقدم وتنمية دولتهم، من خلال العمل على استقطاب الرأي العام الجورجي المعادي والمناهض للحقبة السوفيتية السابقة، كي يحصل الرئيس وحاشيته على المساعدات والدعم الغربي اللا متناهي لبناء دولة جورجية على الطراز الأوربي الحديث، خارجاً من جلدته الجورجية التاريخية وضارباً بعرض الحائط ودون أن يلتفت إلى جواره الروسي.

وقد أوغل الرئيس في رهانه ومعه نخب مجتمعه السياسية، على هذا المحور الخارجي، محور واشنطن - تل أبيب بآثاره على الداخل الجورجي بشكل خاص، وعلى الداخل القوقازي الشامل بشكل عام ومهدّداً جواره الروسي والقوقازي، والرهان كما أسلفنا هو احتمال، والاحتمال في السياسة ليس يقيناً.

وتقول المعلومات، إن الرئيس الجورجي وحزبه ونظامه عملوا، على عقد اتفاقيات التعاون العسكري - الأمني مع الدولة العبرية، وقد شاهدنا الأسلحة الإسرائيلية لدى القوّات العسكرية الجورجية في الحرب الروسية الجورجية الأخيرة، وأن معظم الأسلحة الأميركية المتطورة الموجودة لدى "إسرائيل"، صار بعضها متاحاً للاستخدام في جورجيا بفعل التزام "إسرائيل" ببذل المزيد من الجهود في تدريب وتأهيل وتسليح القوات الجورجية.

كما حمل الرئيس وحزبه ونظامه على عاتقهم، ملف تقديم التسهيلات المختلفة

للقوات الأميركية، وبذل جهودًا غير عادية ليجعل من جورجيا مصنعًا ومعملًا لإعداد التقارير السياسية والأمنية الإستراتيجية، وتقديم نسخ من الثورات الملونة إلى الحدائق الخلفية للفيدرالية الروسية بمساعدة الـ "سي. آي. إيه"، والـ "إم. آي. سكس"، ومجتمع المخابرات الإسرائيلية، والمخابرات الفرنسية، والمخابرات الكندية.

وتذهب ذات المعلومات أيضاً للقول: إنه سعى لجعل جورجيا قاعدة متقدمة للعمليات السرية لـ "سي. آي. إيه" ولجهاز الموساد، في مناطق القوقاز الجنوبي والشمالي على حد سواء وفي جل دول آسيا الوسطى، مهددًا أمن واستقرار القوقاز الكبير، وأمن واستقرار روسيا ومجالها الحيوي وهو جزء من أمنها القومي.

وقد سعى ويسعى هذا النظام الجورجي بنسخته "الوردية القرمزية" إلى عقد اتفاقيات تعاون إستراتيجي مع واشنطن، كي يؤدي إلى إقامة علاقات خاصة أميركية – جورجية على غرار العلاقات الخاصة الأميركية – الإسرائيلية، كي تتمكن تبليسي بأن تجعل من جورجيا "إسرائيل القوقاز الكبير"!

In REJ ieri

In Iran oggi

KMARA, Georgia

PORA, Ukraina

KELKEL, Kyrgyzstan

OBORONA, Russia

قبضة اليد هو رمز اتخذته حركات المعارضة في الثورات الملونة حول العالم.. كانت البداية في حركة " أوتبور" بصربيا التي أطاحت بسلوبودان ميلوسوفيتش عام 2000 ثم انتقلت إلى كل ثورات العالم اللاحقة حتى الربيع العربي.

الفصل الرابع

من الديكتاتورية إلى الديمقراطية

لم يشهد التاريخ كتابًا أثار اهتمام العالم في شتى بقاع الأرض مثلما عليه الحال مع كتاب جين شارب " من الديكتاتورية إلى الديمقراطية ".

هذا الكتاب يعتبره معظم المحللين السياسيين دليل عمل الثورات التي شهدها العالم منذ أن صدر لأول مرة في أكتوبر عام 1993، حيث يتم تطبيقه بحذافيره.

ولعل هذا ما جعل ألقابًا كثيرة تُطلق على هذا الكتاب منها " صندوق معدات المتظاهر"، و" مرشد الثورات الملونة "، و" خطوات إسقاط الأنظمة "، و" خطة المخابرات الأميركية لإعادة رسم خرائط السلطة السياسية في العالم" وألقاب أخرى كثيرة.

ونظرًا لخطورة هذا الكتاب وأهميته في فهم آلية عمل الغرب من خلال منظريه في تطويع العالم بل وتركيعه بذريعة نشر الديمقراطية، سوف نقوم هنا باستعراض مختصر لما يتضمنه هذا الكتاب حتى نفهم ما يحاك في الخارج، وحتى نستطيع التمييز بين ثورات الشعوب المشروعة والوطنية وثورات الشعوب المصنوعة في الغرب، أو المختطفة فيما بعد قيامها في مخططات معدة سلفا.

ويبدأ شارب كتابه بما يسميه بسبب " مواجهة الديكتاتور بأسلوب واقعي " حيث يقول: " لا يعني انتهاء نظام ديكتاتوري معين تنتهي جميع المشاكل حيث إن سقوط نظام معين لا يخلق المدينة الفاضلة، بل إنه يفتح المجال أمام عهود طويلة لبناء علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية عادلة وإلى القضاء على أشكال اللا عدالة والاضطهاد الأخرى ".

ويقول: " منذ عام 1980 استطاع تحدى الشعوب الذي تميز في الغالب باللا عنف في إسقاط الأنظمة الديكتاتورية في إستونيا ولاتفيا ولتوانيا وبولندا وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وسلوفينيا ومدغشقر ومالي وبوليفيا والفلبين ".

ويمضي شارب قائلا: " من المؤكد أن انهيار الأنظمة الديكتاتورية لم يحل جميع المشاكل الأخرى في هذه المجتمعات فالفقر والجريمة وعدم الفعالية البيروقراطية وتخريب البيئة هي ما تورثه الأنظمة القمعية. لكن سقوط هذه الأنظمة الديكتاتورية كان له الحد الأدنى من تخفيف معاناة ضحايا القمع وفتح الطريق أمام إعادة بناء هذه المجتمعات بوجود حريات سياسية وديمقراطية وشخصية وبوجود عدالة اجتماعية ".

ويوضح شارب في كتابه أنه: " هناك خطر محدق يتمثل في أن العديد من الأمم أثناء هذه التغييرات الأساسية السريعة تأخذ اتجاهًا معاكسًا لتقع تحت نير أنظمة ديكتاتورية جديدة، حيث تسعى الزمر العسكرية وأصحاب المطامع والمسئولون المنتخبون والأحزاب السياسية المذهبية باستمرار من أجل فرض إرادتها وتبقى الانقلابات ظاهرة مألوفة وتستمر ظاهرة انتهاك حقوق الإنسان الأساسية والحقوق السياسية للعديد من الشعوب".

وكمن يمرر بضاعته يقول شارب: " خيار استخدام العنف مهما كانت حسناته يعكس بوضوح أمرًا واحدًا وهو أن اللجوء إلى وضع الثقة في أساليب العنف إنما يعني استخدام أسلوب للنضال يتميز الطغاة دائمًا بالتفوق فيه ".

ويقول: " تتميز الأنظمة الديكتاتورية باستعدادها لاستخدام العنف الذي تستطيع به سحق الحركات الديمقراطية مهما طال الزمن وفي نهاية المطاف لا تجد هذه الحركات أمامها خيارًا إلا مواجهة الحقائق العسكرية الصعبة وهي أن الأنظمة الديكتاتورية تتفوق بامتلاكها للعتاد العسكرى والذخائر ووسائل النقل وتتفوق بحجم القوات العسكرية ".

ثم يتطرق شارب إلى طرق إسقاط حكم ديكتاتوري بفعالية وبأقل التكاليف ويحددها على النحو التالي:

1- تعزيز الشعوب المضطهدة في تصميمها وعزيمتها وثقتها بنفسها ومهارات المقاومة.

2- تعزيز جماعات ومؤسسات الشعوب المضطهدة الاجتماعية المستقلة.

3- خلق قوة مقاومة داخلية قوية.

4- وضع خطة تحرر إستراتيجية حكيمة وتنفيذها بمهارة.

ثم ينتقل شارب في كتابه إلى ما يسميه " مخاطر المفاوضات " ويعني مع النظام الحاكم المطلوب إسقاطه فيقول: " يعتبر الإضراب عن العمل للمطالبة برفع الأجور أحد الأمثلة الجيدة على الدور المناسب للمفاوضات سيؤدى إلى رفع الأجور لدرجة ترضى طرفي النزاع. ولكن تختلف نزاعات العمل مع نقابات العمال القانونية عن النزاعات التي تكون فيها قضية استمرارية بقاء نظام حكم ديكتاتوري غاشم أو إنشاء حرية سياسية على المحك ".

ويقول شارب: " قد لا تشكل المفاوضات خيارًا على الإطلاق لأن الحكام المتمكنين والذين يشعرون بالأمان في مراكزهم يستطيعون رفض المعارضة الديمقراطية أو قد يتسببون في إخفاء المفاوضين الديمقراطيين عن الوجود عند البدء في المفاوضات ".

ويرى شارب أنه " عندما يكون نظام الحكم الديكتاتوري قويًا ولكن يعاني من وجود مقاومة تقلق مضاجعه فإنه يود عرض التفاوض على المعارضة لكي يجرها نحو الاستسلام تحت شعار "صنع السلام" وقد تظهر الدعوة إلى المفاوضات بمظهر جذاب ولكن هناك مخاطر جمة تحيط بها ".

ويقول شارب: " عندما تكون المعارضة قوية ويكون النظام الديكتاتوري فعلا مهددًا نجد أن الحكام الديكتاتوريين يسعون وراء التفاوض لكي ينقذوا أكبر جزء من الثروة التي لازالت بين أيديهم. لا يجب على الحركات الديمقراطية أن تساعد الحكام الديكتاتوريين في كلتا الحالتين ".

ويرى أنه " عندما تكون الدعوة إلى المفاوضات في وقت تكون فيه قضايا الحريات السياسية على المحك، فقد تكون هذه الدعوة محاولة من الحكام الديكتاتوريين لجر

الحركات الديمقراطية نحو الاستسلام بطريقة سلمية بينما يستمر العنف لديهم. ففي مثل هذا النوع من النزاعات يكون الدور الأمثل للتفاوض في نهاية نضال حاسم يسعى من خلاله الحكام الديكتاتوريون بإتجاه إيجاد ممر آمن إلى أقرب مطار دولي لكي ينجو بأنفسهم بعد أن انهارت قواهم ".

ويقول شارب: "علينا ألا ننسى مهما كانت الوعود التي يقدمها الحكام الديكتاتوريون في التسوية السلمية فإنها تصب في اتجاه تأمين خضوع خصومهم من الحركات الديمقراطية وفي النهاية تجدهم حقيرين لدرجة أنهم ينتهكون الاتفاقية التي وقعوا عليها ".

ويحذر شارب من أنه: " إذا وافقت الحركات الديمقراطية على وقف المقاومة من أجل التخلص المؤقت من القمع والاضطهاد فسينتهى بهم المطاف إلى الشعور بخيبة الأمل، فكلما يقلل التوقف عن المقاومة من حجم الاضطهاد، حيث إنه عند زوال الضغوطات الداخلية والدولية عن الحكام الديكتاتوريين تجدهم يمارسون قمعًا وعنفًا أكثر وحشية من ذي قبل ".

ويقول شارب إن التاريخ المعاصر يشير إلى ضعف الأنظمة الديكتاتورية ويكشف إمكانية انهيارها خلال فترة قصيرة ويقدم أمثلة:

* فبينما انهار النظام الديكتاتوري البولندي الشيوعي خلال عشر سنوات (1980-1990) انهار مثيلاه في ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا خلال أسابيع 1989.
* في السلفادور وغواتيمالا انهار الحاكمان الديكتاتوريان العسكريان الهمجيان 1944 خلال أسبوعين من النضال ضد كل منهما.
* أما نظام شاه إيران العسكرى القوي فقد انهار خلال أشهر قليلة.
* وفي عام 1986 انهار نظام ماركوس في الفلبين أمام إرادة الشعب خلال أسابيع، وقامت حكومة الولايات المتحدة بالتنصل من الرئيس ماركوس عندما أصبحت قوة المعارضة ماثلة للعيان.

* وعندما حاول المتشددون في الاتحاد السوفيتى تنفيذ انقلاب أغسطس 1991 أوقفهم التحدي السياسي خلال أيام.

ثم يتحدث شارب في كتابه عن المصادر الضرورية للسلطة السياسية ويحددها بـ:

* **السلطة:** إيمان الناس بشرعية النظام وأن طاعته واجب أخلاقي.
* **الموارد البشرية:** عدد وأهمية الأشخاص والجماعات التي تطيع وتتعاون أو تقدم العون للنظام.
* **المهارات والمعرفة:** يحتاجها النظام لأداء أعمال محددة ويوفرها الأشخاص والجماعات المتعاونون.
* **المصادر المادية:** وهي درجة سيطرة أو تحكم الحكام بالممتلكات والمصادر الطبيعية والمصادر المالية والنظام الاقتصادي ووسائل الاتصال والمواصلات.
* **العقوبات:** وتشمل العقوبات المطلقة على أو التي يهدد باستخدامها في حالة العصيان أو اللا تعاون لضمان الخضوع والتعاون اللازمين لبقاء النظام وقدرته على تنفيذ سياساته.
* تعتمد هذه المصادر مجتمعة على قبول الحاكم وخضوع وطاعة جموع المواطنين له وعلى تعاون المواطنين والعديد من مؤسسات المجتمع وهي مصادر غير مضمونة.
* بالمقابل يعمل منع التعاون الشعبي والمؤسساتي عن المعتدين والحكام الديكتاتوريين على تقليص وربما قطع توفر مصادر القوة التي يعتمد عليها جميع الحكام.
* الحكام الديكتاتوريون حساسون تجاه الأعمال أو الأفكار التي تهدد قدرتهم على القيام بما يحلو لهم، فبالتالي فهم يهددون بمعاقبة هؤلاء الذين لا يطيعونهم أو يضربون أو يرفضون التعاون معهم.
* تتوقف درجة التحرر أو الاضطهاد التي تمنحها أي حكومة على الإصرار النسبي للمحكومين على الحرية ورغبتهم وقدرتهم على مقاومة الجهود المبذولة لاستعبادهم.

ويتحدث شارب عن أهم ثلاثة عوامل تحدد درجة السيطرة أو عدم السيطرة على قوة الحكومة وهي:

1- الرغبة النسبية للعوام في فرض حدود على قوة الحكومة.

2- المقدرة النسبية لمنظمات ومؤسسات المحكومين المستقلة في عمل حجب جماعي لمصادر القوة.

3- إمكانية المواطنين النسبية على حجب تجاوبهم ومساعدتهم.

ثم يتناول شارب نقاط ضعف الأنظمة الديكتاتورية ويحددها بـــ:

1- بالامكان تحديد أو سحب التعاون الذي يقدمه الناس عامة والمجموعات والمؤسسات والذي هو ضروري لتشغيل النظام.

2- بإمكان متطلبات وتأثيرات سياسات النظام على أن تحد من قدرات النظام الحالية على تبني وتطبيق سياسات متعارضة.

3- يمكن لأعمال النظام الحاكم أن تتحول إلى روتين غير قادر على التكيف مع الأوضاع الجديدة.

4- يصعب على الأشخاص والمصادر الموزعين على مهام قائمة القيام بمهام ناتجة عن احتياجات جديدة.

5- يمكن أن لايوفر الأتباع المعلومات الصحيحة أو الكاملة التي يحتاجها الحكام الديكتاتوريون من أجل اتخاذ قراراتهم خشية إغضاب أسيادهم.

6- يمكن للأيديولوجية أن تتآكل وأن تتزعزع أساطير ورموز النظام.

7- الإغفال عن الأوضاع الواقعية في حال تمسك النظام بنظرة أيديولوجية متصلبة تبعده عن أرض الواقع.

8- يؤدي تدهور فعالية وأهلية البيروقراطية أو الإفراط بالقوانين والإجراءات إلى أن تصبح سياسات النظام وإدارته عديمة الجدوى.

9- النزاعات المؤسساتية الداخلية والتنافس بين الأشخاص والتشاحن كله يضر ويعيق إدارة النظام الديكتاتوري الحاكم.

10- يصبح الطلاب والمفكرون قلقين بسبب الأوضاع والقيود العقائدية والاضطهاد.

11- تزداد حدة الخلافات الإقليمية والطبقية والثقافية والوطنية.

12- غالبًا ما يكون هرم سلطة الأنظمة الديكتاتورية مزعزعًا وقد يكون مزعزعًا جدًّا أحيانًا، فالأفراد الذين يكونون هذا الهرم لا يبقون في نفس المركز دائما وإنما يصعدون ويهبطون إلى مناصب أخرى أو قد يُزالون كليًّا ليحل محلهم أشخاص آخرون.

13- يصبح الشعب عامة مهملًا وشكاكًا وعدوانيًّا تجاه النظام الحاكم مع مرور الوقت.

14- تعمل بعض أقسام الشرطة والجيش على تحقيق أهدافها الخاصة حتى لو كانت ضد الحكام الديكتاتوريين مثل الانقلابات العسكرية.

15- تحتاج أنظمة الحكم الديكتاتورية الجديدة إلى وقت لتصبح راسخة التأسيس.

16- تصبح الأخطاء في الحكم والسياسة والعمل أمرًا واردًا بسبب كثرة القرارات التي تتخذها القلة في أنظمة الحكم الديكتاتورية.

17- تتآكل أدوات القوة المركزية في أنظمة الحكم الديكتاتورية عندما تقرر تجنب هذه الأخطار عن طريق اللا مركزية في السيطرة واتخاذ القرار.

ثم ينتقل شارب إلى ما يسميه مهاجمة نقاط ضعف الأنظمة الديكتاتورية، ويقول: "يمكن للمعارضة الديمقراطية أن تخلق أزمة لدى نظام الحكم الديكتاتوري من خلال معرفتها بنقاط ضعفه الضمنية "كعب اخيل"..لكن هذا لا يعني أنه يمكن القضاء على تلك الأنظمة دون مخاطر وإصابات، ولكن أشكال النضال التي تستهدف نقاط ضعف أنظمة الحكم الديكتاتورية المحددة تمتلك فرصة أفضل من تلك التي تسعى إلى مواجهة هذه الأنظمة في مواطن قوتها".

ويتحدث شارب عما يسميه بـ " أعمال نضال اللا عنف " ويقسمها إلى ثلاث فئات:

* الاحتجاج.

* الإقناع.

* اللا تعاون.

ويقول شارب: " إذا كان نظام الحكم الديكتاتوري عرضة للضغوط الاقتصادية تصبح الأساليب الاقتصادية مثل المقاطعات والإضرابات هي الأساليب الملائمة للمقاومة، ويكمن تطبيقه في أنواع اختيارية مختلفة من الإضرابات في المرافق الحيوية مثل المصانع ووسائل المواصلات وأماكن تزويد المواد الخام وفي أماكن توزيع المنتجات ".

ويقول: " ترتد ممارسات النظام الحاكم الوحشية ضد الأشخاص الذين يمارسون النضال اللا عنيف عليه وتؤدى إلى تنازع في صفوفه وإلى حصول المقاومين على دعم كبير من الناس عامة والذين هم عادة مؤيدون للنظام وإلى حصول المقاومين على دعم أطراف أخرى. وفي بعض الحالات يكون استخدام العنف المحدود ضد أنظمة الحكم الديكتاتوري أمرًا لا يمكن تجنبه فقد تصل درجة الإحباط والكراهية الموجهة ضد النظام الحاكم إلى الانفجار العنيف، وقد ترفض بعض الجماعات التخلي عن أساليب العنف حتى في حالة معرفتهم بأهمية دور نضال اللا عنف ".

ويقول:" إن هذه الحالات لا تضطرنا إلى التخلى عن التحدي السياسي ولكن يجب الفصل بين أعمال العنف وأعمال اللا عنف إلى أقصى درجة ممكنة عن طريق الفصل الجغرافي ومجموعات السكان والتوقيت والقضايا ".

ثم يمضي شارب للحديث عن " تغيير موازين القوى " فيقول: إن مجموعة النضال اللا عنيف تؤثر باتجاه زيادة أو نقصان قوة الخصم النسبية إلى درجة كبيرة فهي تعمل في مواجهة ممارسات الحكام الديكتاتوريين الهمجية باتجاه عدم الرضا وسحب الولاء وعدم الاعتماد عليه وعصيان في أقصى الحالات بين جنود الحكام الديكتاتوريين والمواطنين وإلى زيادة التنديد الدولي بنظام الحكم الديكتاتوري ويؤدي إلى استخدام

التحدي السياسي الماهر المنضبط الدؤوب إلى مشاركة متزايدة في مقاومة الناس الموالين للديكتاتوريين أو الذين يبقون علـى الحياد أثناء النزاع ".

وفي كتابه يقترح شارب أربع آليات للتغيير:

الآلية الأولى (التحول):

وهي الأقل حدوثا..وتحدث عندما تتحرك عواطف مجموعة الخصم من خلال تأثرهم بالمعاناة والاضطهاد المفروضين على المقاومين الشجعان أو عند اقتناعهم بعدالة قضية المقاومين.

الآلية الثانية (التأقلم):

وتصلح إذا كانت القضايا الموضوعة على المحك غير أساسية بعد أن تكون موازين القوى قد تغيرت ويصل إلى حل فوري كنزاع من خلال اتفاقية أو تجزئة الخلافات أو بالوصول إلى تسوية.

ولا يمكن تطبيق هذه الآلية على النضال من أجل إسقاط نظام حكم ديكتاتوري معين.

الآلية الثالثة (الإجبار باللا عنف):

وهو اللا تعاون والتحدى الجماهيرى بحيث يغيران مجرى الأوضاع السياسية والاجتماعية خاصة موازين القوى ونزع قدرة الحاكم الديكتاتوري الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبالتالي عزله عن المجتمع.

الآلية الرابعة (التفكك):

وهي تطور لحالة الإجبار باللا عنف إلى حدود أبعد حيث تفقد قيادة الخصم جميع قدراتها على العمل وتنهار هيكلية السلطة لديها، ويصبح الاتجاه هو اللا تعاون والتحدى مكتملا لدرجة تفقد الخصم حتى التحكم بها.

وترفض بيروقراطية الخصم التعاون معه وتحدث حالة عصيان بين جنود وشرطة الخصم ويتنصل الشعب من قيادته السابقة منكرًا وجود أي حق لهم في الحكم حتى لا يملك القوة حتى على الاستسلام، ومن ثم يتناثر إلى أجزاء صغيرة.

ويتحول شارب إلى " الحاجة إلى التخطيط الإستراتيجى " فيقول: " تتعدد الطرق التي يمكن من خلالها بدء حملات التحدي السياسي ضد أنظمة الحكم الديكتاتورية وفي الماضي كانت هذه الحملات تأتي من دون تخطيط وبشكل عارض والأسباب غالبًا ما تكون متنوعة مثل قيام الأنظمة الديكتاتورية بممارسات همجية جديدة أو بأعتقال أو قتل أشخاص ذوى اعتبار كبير، أو بسبب ممارسات قمعية أو تطبيق أوامر تعسفية جديدة أو بسبب أزمة أقتصادية أو كنتيجة لانتهاك حرمات دينية مقدسة أو أثناء الاحتفال بذكرى حدث تاريخى هام ".

ويقول شارب: " في بعض الأحيان يقوم بعض الأفراد أو تقوم مجموعة صغيرة تتميز بالجرأة بعمل ينال دعمًا جماهيريًا وفي حالات آخرى تبدأ كاستجابة لدعوة من أفراد أو مجموعات للقيام بحملة من النضال ضد أنظمة الحكم الديكتاتورية ".

ويرى شارب أنه على الرغم من أن الأعمال العفوية تتمتع بمزايا إيجابية لكن غالبًا ما يكون لها صفات سلبية مثل:

1- عدم القدرة على التنبؤ برد فعل الأنظمة الديكتاتورية والتي تتمثل في ممارسة الأساليب الوحشية ضد المقاومين.

2- الافتقار إلى التخطيط والذي يؤدي إلى نتائج وخيمة لأنها جعلت الظروف تتحكم باتخاذ قرارات مصيرية.

3- الافتقار إلى التخطيط في كيفية تسيير التحول إلى النظام الديمقراطي يساهم في ظهور ديكتاتوريات جديدة بعد القضاء على الأنظمة الديكتاتورية السابقة.

ثم يقدم شارب ما يسميه بـــ " إستراتيجية التخطيط "ويقول:

* لا يمكن تطوير الإستراتيجيات إلا في إطار النضال المحدد وخلفياته .

* ويجب مراعاة مسألة أن القضاء على نظام الحكم الديكتاتوري لا يمثل هدفًا كافيًا فالهدف في مثل هذه الصراعات يجب أن يكون متمثلا في إنشاء مجتمع حر يحكمه نظام ديمقراطى.

* على الإستراتيجيين أن يجيبوا عن العديد من الأسئلة الأساسية عند التخطيط الإستراتيجى للنضال مثل:

1- ما العوائق الرئيسية لتحقيق الحرية؟

2- ما العوامل التي تسهل تحقيق الحرية؟

3- ما نقاط القوة الرئيسية لنظام الحكم الديكتاتوري؟

4- ما نقاط الضعف المختلفة لنظام الحكم الديكتاتوري؟

5- إلى أي درجة تكون مصادر قوة نظام الحكم الديكتاتوري عرضة للتأثير؟

6- ما نقاط القوة التي تتمتع بها القوى الديمقراطية والمواطنون بشكل عام؟

7- ما نقاط ضعف القوى الديمقراطية وكيف يمكن معالجتها؟

8- ما موقف الأطراف الأخرى التي لها تأثير ودور غير مباشر في الصراع ولكنها ساعدت أوتقدم العون لنظام الحكم الديكتاتوري أو للحركة الديمقراطية وكيف؟

وعن " التخطيط من أجل الديمقراطية " يقول شارب في كتابه:

* هدف الإستراتيجية الرئيسية في مواجهة أنظمة الحكم الديكتاتوري لا يتوقف ببساطة عند القضاء على الديكتاتورية ولكن يستمر حتى يتم وضع نظام ديمقراطي ويجعل من نشوء ديكتاتورية جديدة أمرًا مستحيلًا.

* يجب تغيير موازين القوى حتى نمنع الحكام الجدد إن أرادوا أن يكونوا حكامًا ديكتاتوريين كأسلافهم وبالتالي يجب أن نرفض أي "ثورة داخل القصر" أو أي انقلاب ضد الحكم وذلك عن طريق تطوير قدرات النضال اللا عنيف.

وعن " المساعدة الخارجية " يقول شارب:

* تسخير الرأي العام العالمي كتتمة متواضعة ضد أنظمة الحكم الديكتاتورية بناء على أسس إنسانية أو أخلاقية أو دينية.
* بذل الجهود من أجل الحصول على عقوبات دبلوماسية وسياسية واقتصادية تفرضها الحكومات والمنظمات الدولية على أنظمة الحكم الديكتاتوري.
* تقديم الدعم المالي والإعلامي مباشرة إلى القوى الديمقراطية.

وعند التخطيط للإستراتيجية الرئيسية كما يقول شارب يجب الإجابة على هذه الأسئلة:

1- ما أفضل طريقة للبدء في نضال طويل الأمد؟
2- كيف يستطيع الشعب أن يحشد الثقة الكافية بالنفس والقوة لكي يتحدى نظام الحكم الديكتاتوري ولو بشكل محدود في البداية؟
3- كيف يمكن زيادة قدرة المواطن على تطبيق اللا تعاون والتحدي مع مرور الوقت والخبرة المكتسبة؟
4- ما أهداف سلسلة من الحملات المحدودة لاستعادة السيطرة الديمقراطية على المجتمع والتضييق على الديكتاتورية؟
5- ما مؤسسات المجتمع التي يمكن استعادتها من سيطرة الحكام الديكتاتوريين أو ما المؤسسات اللازم إنشاؤها لتلبية احتياجات الديمقراطيين وخلق أجواء من الديمقراطية حتى في ظل استمرار الحكم الديكتاتوري؟
6- هل يوجد مؤسسات مستقلة عايشت الديكتاتورية ويمكن استخدامها في النضال من أجل الحرية؟
7- كيف نستطيع تطوير القوة التنظيمية للمقاومة؟
8- كيف يمكن تدريب المشاركين؟
9- ما المصادر المالية والمعدات وغيرها اللازمة أثناء الصراع؟

10- ما نوع الرمزية المؤثرة في حشد الشعب؟

11- ما أنواع العمل التي تزيد من إضعاف مصادر قوة الحاكم الديكتاتوري وقطعها وفي أي المراحل تستخدم؟

12- كيف يستطيع المجتمع أن يستمر في تلبية حاجاته خلال مسيرة النضال؟

13- كيف يستطيع الشعب المقاوم أن يستمر في الإصرار على التحدي وفي نفس الوقت يحافظ على الانضباط اللا عنيف الضروري؟

14- كيف تستطيع المقاومة الديمقراطية أن تستمر في بناء القاعدة المؤسساتية في المجتمع في مرحلة ما بعد الديكتاتورية عندما تقترب ساعة النصر لكي تسهل عملية التحول "من الديكتاتورية إلى الديمقراطية"؟

ويقول شارب إنه " يجب الكشف عن إستراتيجية النضال الرئيسية فهذا يجعل الأعداد الكبيرة من الناس أكثر رغبة في المشاركة وأكثر قدرة على العمل وعلى التصرف كما ينبغي.

وعندما تصبح الخطوط العامة للإستراتيجية الرئيسية معروفة للحكام الديكتاتوريين قد تؤدي إلى استخدام أساليب أقل همجية في الرد عليها لأنهم يعرفون أنها ستعود سلبًا عليهم من الناحية السياسية ويمكن أن تساهم في خلق نزاع أو ارتداد في داخل معسكر النظام الديكتاتوري نفسه ".

وعن " تخطيط إستراتيجيات الحملة " يطالب شارب بـــ:

1- تحديد الأهداف الخاصة للحملة ومساهمتها في تنفيذ الإستراتيجية الرئيسة.

2- مراعاة الطرق المحددة أو الأسلحة السياسية التي يمكن استخدامها وتحديد الخطط التكتيكية الصغيرة والطرق المراد استخدامها في الضغط وتذكر أن تحقيق الأهداف الرئيسية يأتي كنتيجة لتنفيذ خطوات خاصة صغيرة بشكل رصين.

3- ربط القضايا الاقتصادية بالنضال الذي هو في الحقيقة نضال سياسي.

4- تحديد نوعية الهيكلية القيادية ونوعية نظام الإعلام القادر على البدء بالمقاومة ومن أجل تقديم الإرشاد المستمر للمقاومين والشعب عامة.

5- نشر أخبار المقاومة بين الشعب عامة وقوات النظام الديكتاتوري والصحافة الدولية ويجب أن تكون الادعاءات والتقارير المنشورة حقيقة دائمًا، لأن المبالغة والادعاءات التي لا أساس لها تضعف مصداقية المقاومة.

6- وضع خطط مستقلة وبناءة لنشاطات اجتماعية وتعليمية واقتصادية وسياسية لتلبية حاجات الشعب أثناء النزاع وتدار بشكل غير مباشر بنشاطات المقاومة.

7- تحديد نوعية المساعدة الخارجية المرغوب بها في دعم حملة معينة من النضال التحرري دون جعل النضال الداخلي معتمدًا على عوامل خارجية غير مضمونة.

وعن نشر فكرة اللا تعاون مع النظام القائم يقول شارب:

* يمكن نشر الأفكار وتعليمات المقاومة بالرغم من الصعوبات والأخطار الناجمة عن ممارسات أنظمة الحكم الديكتاتورية ضدها من خلال نشر الصحف غير القانونية والنشرات والكتب والأشرطة المسموعة والرقمية والفيديو والديجيتال (مواقع التواصل الاجتماعى الآن).

* يجب نشر إرشادات عامة للمقاومين تشير إلى القضايا والظروف التي تدعو الشعب إلى ممارسة اللا تعاون والاعتراض وكيفية تطبيقها وكيفية التصرف فيما يتعلق بالقضايا الهامة حتى في حال انقطاع الاتصال، كما توفر هذه النشرات اختبارًا لمعرفة "تعليمات المقاومة الزائفة" التي تصدرها الشرطة السياسية التي تدعو إلى عمل يضر بسمعة حركة المقاومة.

وعن " القمع وطرق مواجهته " يقول شارب:

* توفر المعرفة بمخاطر المشاركة وتحذير الشعب والمقاومين حول إجراءات القمع المحتملة يوفر لديهم المعرفة والتقييم الذي يتيح المجال لتوفير رعاية طبية للإصابات التي تقع.

* يجب مراعاة مسألة حجم الإصابات والإنجازات التي يمكن تحقيقها وهل سيتصرف الناس والمقاومون بانضباط دون استخدام العنف خلال فترة النضال؟

وهل يستطيعون مقاومة الأعمال التي تستفزهم وتدعوهم لاستخدام العنف؟

* على المخططين أن يراعوا الإجراءات التي يمكن استخدامها للمحافظة على الانضباط اللا عنيف وتحافظ على المقاومة بالرغم من الممارسات الهمجية والوحشية..هل تكون هذه الإجراءات تتمثل في العهود والتصريحات السياسية والمنشورات التي تدعو إلى الانضباط ومنظمى المظاهرات ومقاطعة الأشخاص أو المجموعات التي تطالب باستخدام العنف مؤثرة؟

ويقول شارب:" على القادة أن يكونوا متيقظين لوجود عملاء للأنظمة الديكتاتورية يحثون المتظاهرين على استخدام العنف ".

ويطالب شارب بما يسميه " الالتزام بالخطة الإستراتيجية " ويقول: لا يجب إشغال القوى الديمقراطية بالتحركات الصغيرة التي يقوم بها الحكام الديكتاتوريون والتي تقودهم إلى الابتعاد عن الإستراتيجية الرئيسية والتركيز على النشاطات الهامة.

ويحدد شارب وسائل ما يسميه بـــ" ممارسة التحدي السياسي ":

* عن طريق تنفيذ مهام أولية قليلة المخاطر وتعمل على بناء الثقة بين الناس.
* تركيز العمل الجماعى على قضايا صغيرة غير سياسية مثل تأمين مصدر مياه.
* يجب أن لا يهدف مخططو مثل هذه الحملات في الصراعات الطويلة إلى سقوط كامل وفوري لنظام الحكم الديكتاتوري ولكن إلى تحقيق أهداف محدودة.
* تختلف الحملات في بدايتها ومنتصفها وعند اقتراب نهاية النضال الطويل عن بعضها البعض.
* يجب أن تركز إستراتيجيات المقاومة المختارة على القضايا الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية بحيث يتم الاحتفاظ بجزء من النظام الاجتماعى السياسي بعيدًا عن سيطرة الحاكم الديكتاتوري أو منع هدف خاص عن الحكام الديكتاتوريين.
* إذا كان عدد الأشخاص الراغبين في العمل صغيرًا تكون هذه الأعمال مقتصرة على وضع الزهور على أماكن ذات أهمية رمزية.

* إذا كان عدد الأشخاص الراغبين في المشاركة كبيرًا يتم تنفيذ أعمال تتمثل في جميع النشاطات لخمس دقائق أو الصمت لعدة دقائق. وفي حالات أخرى يستطيع عدد من الأفراد تنفيذ إضراب عن الطعام أو الاعتكاف في مكان محدد له أهمية رمزية، أو مقاطعة قصيرة للحصص يقوم بها الطلاب، أو الاعتصام في مكتب هام، ستواجه مثل هذه الأعمال الأكثر شدة بممارسات قمعية قوية وتؤدي تلك الأعمال إلى اهتمام عالمي.

ويسوق شارب أمثلة على ذلك:

* مظاهرات الجماهيرية في بورما 1988.

* الاحتلال الذي نفذه الطلاب والإضراب عن الطعام في ساحة التيانامين في بكين 1989.

إلا أن مثل هذه الأعمال لا تقضى على الأنظمة الديكتاتورية حيث تبقى بشكل كبير رمزية ولاتحدث تغييراً في مركز قوة أنظمة الحكم الديكتاتورية.

ويقول شارب: " تقع وطأة النضال على قطاع أو أكثر من المواطنين خلال تنفيذ حملة معينة من المقاومة ثم يتحول عبء النضال إلى مجموعة أخرى في مراحل لاحقة من حملات النضال، مثلا يقوم الطلاب بتنفيذ إضرابات احتجاجًا على قضايا تعليمية ويقوم القادة الدينيون والمؤمنون بالتركيز على قضايا الحريات الدينية ويقوم عمال السكة الحديد بتحرى قواعد السلامة بدقة من أجل إبطاء حركة القطارات، ويقوم الصحفيون بتحدي الرقابة من خلال نشر صفحات تحتوي على فراغات تمثل المقالات الممنوعة ".

أما سبل " استهداف قوة الديكتاتور " كما يسميها شارب فهي من وجهة نظره:

* يجب تحديد مصادر قوة الديكتاتور وتقييدها وقطع مصادر قوة نظام الحكم الديكتاتوري عندما تكتسب المقاومة الديمقراطية القوة بحيث يكون الهدف زيادة الشلل السياسي وفي النهاية تفكك الديكتاتورية نفسها عن طريق:

* الكشف عن الممارسات الهمجية للنظام من أجل دعم الناس له.

* الكشف عن الكوارث الناتجة عن سياساته الاقتصادية.
* حثّ أنصار الديكتاتور على أن يكونوا على الأقل "محايدين" في نشاطهم أو يفضل أن يكونوا أنصارًا فعالين للحركة الديمقراطية.
* التركيز في تطبيق التحدي السياسي واللا تعاون على أنصار ومساعدي الحكام الديكتاتوريين وهذا يشمل (جماعة الحكام الديكتاتوريين الداخلية وحزبهم السياسي والشرطة والبيروقراطيين ويكون التركيز خاصة على الجيش).
* يجب عمل تقييم جيد لدرجة موالاة الجيش (الجنود والضباط) لنظام الحكم الديكتاتوري ومن ثَم تحديد فيما إذا كانت القوات العسكرية عرضة لتأثير القوى الديمقراطية.

- هل هناك الكثير من الضباط والجنود المجندين غير راضين وخائفين؟
- هل هناك إمكانية لإبعاد الكثير من الجنود والضباط عن النظام الحاكم لأسباب شخصية أو عائلية أو سياسية؟
- ما العوامل الأخرى التي تجعل الجنود والضباط عرضة إلى تحول ديمقراطي؟
- على الجنود أن يعرفوا أن النضال سيكون ذا مواصفات خاصة لا يعمل على تهديد حياتهم ويجب وضع إستراتيجية للتواصل مع الجنود يكون هدفها تقوية الروح المعنوية للجنود ومن ثم تحويل ولائهم وطاعتهم لصالح الحركة الديمقراطية.
- لا يجب تفسير محاولة الحصول على تعاطف والحث على العصيان بين قوات الديكتاتور، على أنها تشجع القوات العسكرية على القضاء السريع على الأنظمة الديكتاتورية من خلال عمل عسكري لأنه لا يرسخ لديمقراطية عملية لأن الانقلاب على النظام الحاكم لا يعالج علاقات القوى بين الشعب والحكام، لذلك من الضرورة تخطيط كيفية العمل على إقناع الضباط العسكريين المتعاطفين أنه لاحاجة إلى انقلاب عسكري أو حرب مدنية على الديكتاتورية.
- يستطيع الضباط العسكريون المتعاطفون أن يلعبوا دورًا حيويًّا في النضال مثل

نشر سحب الولاء واللا تعاون في قوات الجيش، وتشجيع عدم الفعالية المتعمدة وتجاهل الأوامر ودعم رفض ممارسة القمع وتوفير ممر آمن ومعلومات وطعام وتزويدات طبية وما شابه.

- يعتبر الجيش أحد المصادر الهامة لقوة الحكام الديكتاتوريين لأنه يستطيع أن يستغل الوحدات العسكرية المنضبطة وأسلحتهم بشكل مباشر في الهجوم ومعاقبة العاصى.
- وبالتالي على الإستراتيجيين الديمقراطيين إعطاء الإستراتيجية التي تستهدف تحويل ولاء قوات الحكام الديكتاتوريين أولوية قصوى.
- على القوى الديمقراطية تذكُّر أن سحب الولاء والعصيان بين القوات العسكرية يكون في غاية الخطورة على أعضاء هذه القوات وتتم معاقبة الجنود والشرطة عقابًا قاسيًا إذا قاموا بأى عمل يعصون فيه الأوامر الموجهة إليهم ويتمردون عليها.
- لذلك لا يجب أن تطلب من الجنود والضباط التمرد مباشرة، وبدلا من ذلك يستطيع أن يوفر الاتصال وهناك أشكال أمنية تسمى (العصيان الخفي) الذي يمكنهم ممارسته، مثلًا تستطيع الشرطة والجيش أن ينفذوا التعليمات التي تتعلق بالقمع بطريقة غير فعالة، أو الفشل في إيجاد أشخاص مطلوبين أو تحذير المقاومين عن القمع والاعتقالات والإبعاد المخطط لها والإخفاق في تقديم معلومات هامة إلى ضباطهم الأعلى منهم.
- الضباط بدورهم يستطيعون تجاهل تمرير أوامر القمع وفق تسلسل الأوامر. ويستطيع الجنود إطلاق النار فوق رؤوس المتظاهرين ويستطيع موظفو الحكومة إضاعة ملفات وتعليمات وأن يعملوا بدون فعالية أو يتمارضوا لكي يبقوا في البيت حتى يشفوا.

وعن سبل " تفكيك النظام الديكتاتوري " يقول شارب:

* يصبح السكان أكثر ميلًا نحو العصيان واللا تعاون إذا ضعفت التأثيرات النفسية

والفكرية (العوامل غير الملموسة) والتى عادة ما تحث الناس على طاعة ومساعدة الحكام.

* الإضراب والمقاطعة وزيادة الاستقلالية والسيطرة على الإعلام والمواصلات تضعف النظام الحاكم.

* التهديد وتنفيذ العقوبات ضد الإضرابات والأجزاء الملتهبة والعاصية وغير المتعاونة مع الحكام الديكتاتوريين يمكن إضعافه بطريقتين:

الأولى، تتقلص فعالية العقوبات المتوفرة بشكل كبير إذا كان المواطنون مستعدين للمخاطرة بنتائج خطيرة كثمن للتحدي (أي أن الاضطهاد الذي يمارسه الديكتاتوريون لايضمن الطاعة المطلوبة).

الثانية، قيام الشرطة والقوات العسكرية بسحب ولائهم سواء كان فرديًا أو جماعيًا أو عند تجنبهم أو رفض مباشر لأوامر الاعتقال أو الضرب أو إطلاق النار على المقاومين. وإذا أصبح الحكام الديكتاتوريون غير قادرين على الاعتماد على الشرطة والقوات العسكرية لتنفيذ القمع تتهدد الديكتاتورية بشكل خطير.

ويتحدث شارب عما يسميه بـــ " تصعيد الحرية " يقول: " عندما تصبح المؤسسات المدنية للمجتمع أقوى بالمقارنة مع الديكتاتورية ينشغل المواطنون في بناء المجتمع المستقل خارج نطاق سيطرة الحكام الديكتاتوريين، ويمكن تنفيذ اللا تعاون للتعاون للدفاع عن الفضاء الديمقراطي المكتسب في حال تدخل الديكتاتورية لوقف تصعيد الحرية وتواجه الديكتاتورية بـ"جبهة" أخرى من النضال. وهناك إمكانية لإنشاء "حكومة ديمقراطية موازية" عندما تكون الديكتاتورية مسيطرة على الحكومة المركزية بحيث تحصل على موالاة والتزام وتعاون المواطنين ومؤسسات المجتمع ".

وينتقل شارب في كتابه إلى ما يسميه بـــ " تفكيك النظام الديكتاتوري " ويراه على النحو التالي:

- يتم تصعيد حركة اللا تعاون والتحدى حتى يأتي وقت تجتاز فيه القوى الديمقراطية المقاومة المختارة وتطلق تحديًا جماهيريًّا وتصبح نقاط ضعف الديكتاتورية أكثر وضوحًا في حال توفر تحدٍّ سياسي منضبط ومستمر يتمثل في تصعيد النشاطات.

- يجب الاحتفال بالانتصارات خلال مسيرة النضال التحرري حتى في القضايا المحدودة، ويجب الاعتراف بالذين يحققون النصر مع الأخذ بالحيطة والحذر.. فالاحتفالات تساعد على الاحتفاظ بالروح المعنوية اللازمة لمراحل مستقبلية من النضال.

ويقترح شارب ما يسميه بـ" معالجة النصر بطريقة مسؤولة " على النحو التالي:

- التخطيط لمنع ظهور ديكتاتورية جديدة وضمان إنشاء تدريجي لنظام ديمقراطي قوي.

- إنشاء حكومة عاملة بسرعة وليس الحكومة القديمة بوجوه جديدة.

- تحديد أجزاء هيكلية الحكومة السابقة التي يجب إزالتها كليًّا بسبب طبيعتها الضمنية التي هي في الواقع ضد الديمقراطية (مثل الشرطة السياسية).

- معرفة الأجزاء الهيكلية التي يجب الاحتفاظ بها وتطبيق الديمقراطية لأن وجود فراغ حكومي يتيح المجال لظهور فوضى أو ديكتاتورية جديدة.

- تحديد سياسة التعامل مع الرسميين في المواقع العليا للديكتاتورية بعد تفكيك قوتها مثلا هل يجب محاكمة الديكتاتوريين؟ هل سيسمح لهم بمغادرة البلاد إلى الأبد؟ من الضرورى تجنب حمامات الدم لأنها تعود بالضرر على إمكانية وجود نظام ديمقراطي في المستقبل.

- يجب وجود خطط واضحة للتحول الديمقراطي عندما تنهار الديكتاتورية لأنها تمنع ظهور جماعة أخرى تصادر قوة الدولة من خلال انقلاب عسكري.

- التخطيط لتأسيس حكومة ديمقراطية دستورية تمنح حريات سياسية وفردية كاملة لأن الفشل في التخطيط يضيع مكتسبات باهظة الثمن.

وفي الفصل الأخير من كتابه يحدد شارب " أسس ثبات الديمقراطية " فيقول: " يعتبر تفكيك نظام الحكم الديكتاتوزي سببًا لاحتفال عظيم حيث إنه يوفر معنى للمرح والاسترخاء وللعرفان للناس الذين عانوا لمدة طويلة ودفعوا ثمنًا باهظًا أثناء النضال، إنهم سيشعرون بالفخر بأنفسهم وبكل من ناضل منهم من أجل نيل الحرية السياسية، ليس كل من ناضل سيعيش ليرى ذلك اليوم، لكن الناس سيذكرون من عاش ومن مات كأبطال ساعدوا على إعادة كتابة تاريخ الحرية في بلادهم.لكن لسوء الحظ هذا لا يعني أنه قد حان الوقت لتقليل الحذر فحتى بعد النجاح في تفكيك الحكم الديكتاتوري لابد من اتخاذ إجراءات وقائية حذرة لمنع ظهور نظام القمع القديم بالآتي:

- الاستعداد المسبق للتحول المنظم للديمقراطية.
- بناء الأسس الدستورية والقانونية ومعايير السلوك لديمقراطية قوية.
- لا يجب أن يعتقد أحد أن مجتمعا مثاليا سيظهر فور سقوط النظام فسقوطه بمثابة نقطة البدء تحت ظروف حرية أفضل لبذل جهود طويلة الأمد لتطوير المجتمع وتلبية حاجاته الإنسانية بشكل أفضل.
- ستستمر المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الخطيرة لسنوات طويلة.
- على النظام السياسي الجديد أن يوفر فرصًا أمام الناس ولكي يكملوا العمل البناء والتطوير السياسي.

ويقدم شارب في نهاية الكتاب أيضًا ما يسميه بـ" ملحق أساليب العمل باستخدام اللا عنف ":

أساليب الاحتجاج والإقناع باستخدام اللا عنف

تصريحات رسمية

1- خطابات عامة.

2- رسائل معارضة أو تأييد.

3- بيانات تصدر عن منظمات ومؤسسات.

4- تصريحات علنية موقعة.

5- بيانات عن المظالم والمطالب.

6- تقديم عرائض جماهيرية.

مخاطبة الجماهير العريضة

7- شعارات وكاريكاتورات ورموز.

8- لافتات وملصقات وإعلانات تظاهرية.

9- نشرات وكتيبات وكتب.

10- صحف ودوريات.

11- تسجيلات وإذاعة وتلفزيون.

12- كتابة في الجو وعلى الأرض.

احتجاجات جماعية

13- تفويض.

14- أحكام صورية (هزلية).

15- جماعات ضاغطة (اللوبي).

16- اعتصامات.

17- انتخابات صورية (هزلية).

أعمال رمزية عامة

18- رفع الأعلام وعرض الألوان الرمزية.

19- ارتداء الرموز الخاصة.

20- الصلاة والعبادة.

21- توزيع أغراض تتضمن رموزًا خاصة.

22- التعري تعبيرًا عن الاحتجاج.

23- إتلاف الشخص لممتلكاته الخاصة.

24- استخدام أضواء ترمز إلى مغزى معين.

25- عرض اللوحات الفنية المعبرة.

26- استخدام الطلاء كنوع من الاحتجاج.

27- استخدام إشارات وأسماء جديدة.

28- استخدام الأصوات كرموز.

29- استصلاح رمزي للعقارات.

30- إيماءات بذيئة.

ممارسة الضغط على الأفراد

31- ملازمة المسؤولين.

32- توبيخ المسؤولين.

33- المؤاخاة.

34- الاعتكاف.

المسرح والموسيقى

35- مشاهدة مسرحية تهكمية.

36- تأليف المسرحيات وعزف الموسيقى.

37- استخدام الغناء.

المواكب

38- مسيرات.

39- الاستعراض.

40- مواكب دينية.

41- الحجيج.

42- قافلة السيارات.

تكريم الموتى

43- الحداد السياسي.

44- الجنازات الرمزية.

45- الجنازات التظاهرية.

46- زيارة المقابر.

التجمعات الشعبية

47- التجمع من أجل الاحتجاج أو التأييد.

48- لقاءات احتجاجية.

49- لقاءات احتجاجية مموهة.

50- عقد الندوات.

انسحاب وتنصل

51- الخروج من مكان معين.

52- الصمت.

53- رفض التشريفات.

54- إدارة الظهر.

أساليب اللا تعاون الاجتماعي

نبذ الأشخاص

55- المقاطعة الاجتماعية.

56- مقاطعة اجتماعية انتقائية.

57- حجب العواطف (عدم إظهار العواطف).

58- الحرمان.

59- التحريم.

اللا تعاون مع الأحداث الاجتماعية والتقاليد والمؤسسات

60- تعليق النشاطات الاجتماعية والرياضية.

61- مقاطعة الشؤون الاجتماعية.

62- إضرابات الطلاب.

63- العصيان الاجتماعي.

64- الانسحاب من المؤسسات الاجتماعية.

الانسحاب من النظام الاجتماعي

65- البقاء في المنزل.

66- اللا تعاون الشخصي الشامل.

67- "هروب" العمال.

68- الخلوة.

69- الاختفاء الجماعي.

70- الهجرات الاحتجاجية.

أساليب اللا تعاون الاقتصادى

(1) المقاطعة الاقتصادية

أعمال يقوم بها المستهلكون

71- مقاطعة المستهلكين.

72- عدم استهلاك المنتجات المقاطعة.

73- سياسة التقشف.

74- الامتناع عن دفع الأجور.

75- رفض الاستئجار.

76- مقاطعة المستهلكين الوطنيين.

77- مقاطعة المستهلكين الدوليين.

أعمال يقوم بها العمال والمنتجون

78- مقاطعة عمالية.

79- مقاطعة المنتجين.

الأعمال التي يقوم بها الوسطاء

80- مقاطعة المزودين والوكلاء.

أعمال يقوم بها أصحاب الأملاك والمدراء

81- مقاطعة التجار.

82- الامتناع عن تأجير أو بيع الممتلكات.

83- منع التوظيف وإغلاق المؤسسات.

84- رفض المساعدة الصناعية.

85- إضراب عام للتجار.

أعمال يقوم بها أصحاب المصادر المالية

86- سحب الودائع البنكية.

87- الامتناع عن دفع الرسوم والمستحقات والضرائب.

88- الامتناع عن دفع الديون والفوائد.

89- قطع المخصصات والقروض.

90- الامتناع عن دفع المداخيل الحكومية.

91- الامتناع عن قبول النقد الحكومي.

الأعمال التي تقوم بها الحكومات

92- الحصار الاقتصادي المحلي.

93- وضع أسماء تجار على القائمة السوداء.

94- حظر البيع دوليًا.

95- حظر الشراء دوليًّا.

96- الحظر التجاري الدولي.

أساليب اللا تعاون الاقتصادي

(2) الإضراب

الإضرابات الرمزية

97- الإضراب الاحتجاجي.

98- المغادرة الفورية.

الإضرابات الزراعية

99- إضرابات الفلاحين.

100- إضراب عمال المزارع.

101- رفض العمل الإلزامي.

102- إضراب المعتقلين.

103- إضراب أحد فروع الصناعة.

104- إضراب المهنيين.

الإضرابات الصناعية العادية

105- إضرابات منشأة صناعية.

106- إضراب الصناعة.

107- الإضراب التضامني.

الإضرابات الجزئية

108- الإضراب التصاعدي.

109- إضراب الصدمة.

110- الإضراب التباطئي.

111- إضراب التقيد بالأنظمة.

112- الإضراب بالغياب المرضي (تمارُض).

113- الإضراب بالاستقالة.

114- الإضراب المحدود.

115- الإضراب المحدد.

الإضرابات الصناعية المزدوجة

116- الإضراب المعمم.

117- الإضراب العام.

الجمع بين الإضرابات والإغلاقات الاقتصادية

118- هارتال (إضراب مؤقت للتعبير عن الاحتجاج).

119- الإغلاق الاقتصادي.

أساليب اللا تعاون السياسي

نبذ السلطة

120- سحب الولاء.

121- رفض التأييد العام.

122- خطابات وكتابات تدعو إلى المقاومة.

امتناع المواطنين عن التعامل مع الحكومة

123- مقاطعة الهيئات التشريعية.

124- مقاطعة الانتخابات.

125- مقاطعة الوظائف والمراكز الحكومية.

126- مقاطعة الدوائر والوكالات والهيئات الحكومية الأخرى.

127- الانسحاب من المؤسسات التربوية الحكومية.

128- مقاطعة المنظمات التي تدعمها الحكومة.

129- رفض مساعدة الجهات التنفيذية.

130- إزالة إشارات وعلامات المكان الخاصة.

131- رفض الموظفيين المعينين.

132- رفض حل المؤسسات القائمة.

بدائل الجمهور للطاعة

133- معارضة وامتثال بطيء.

134- العصيان في حالة غياب الإشراف المباشر.

135- العصيان الجماهيري.

136- العصيان المقنع.

137- رفض تفريق الحشود.

138- الاعتصام.

139- رفض التجنيد الإجباري والإبعاد.

140- الاختباء والهروب واستخدام الهويات الزائفة.

141- عصيان مدني للقوانين غير الشرعية.

أعمال يقوم بها موظفو الحكومة

142- امتناع محدد عن المساعدة من قبل أركان الحكومة.

143- قطع خطوط اتصال الأوامر والمعلومات.

144- المماطلة والإعاقة.

145- لا تعاون إداري عام.

146- لا تعاون قضائي.

147- عدم فعالية مقصود ولا تعاون انتقائي مع جهات السلطة التنفيذية.

148- التمرد.

أعمال تقوم بها الحكومات المحلية

149- مراوغات وتأخيرات شبه قانونية.

150- لا تعاون وحدات حكومية ذات صلاحية.

أعمال حكومية دولية

151- تغيير في العلاقات الدبلوماسية والعلاقات الأخرى.

152- تأخير وإلغاء الأحداث الدبلوماسية.

153- سحب الاعتراف الدبلوماسي.

154- قطع العلاقات الدبلوماسية.

155- الانسحاب من المنظمات الدولية.

156- رفض العضوية في الهيئات الدولية.

157- الطرد من المنظمات الدولية.

أساليب التدخل اللا عنيف

التدخل النفسي

158- الانكشاف أمام العناصر الطبيعية.

159- الصيام.

- صيام الضغط المعنوي.

- الإضراب عن الطعام.

- صيام الساتياجراها (من أجل تغيير الخصم كليًا).

160- المحاكمة المعكوسة.

161- التحرش باستخدام اللا عنف.

التدخل الجسدي

162- الاعتصام.

163- الاعتصام وقوفًا.

164- الاعتصام ركوبًا.

165- الاقتحام.

166- الطواف.

167- الصلاة اقتحامًا.

168- غارة اللا عنف.

169- غارات اللا عنف الجوية.

170- غزو اللا عنف.

171- الاعتراض اللا عنيف.

172- الحاجز اللا عنيف.

173- الاحتلال اللا عنيف.

التدخل الاجتماعي

174- تأسيس نماذج اجتماعية جديدة.

175- إرهاق التسهيلات.

176- المماطلة.

177- المقاطعة الكلامية.

178- مسرح المغاوير.

179- مؤسسات اجتماعية بديلة.

180- نظام اتصال بديل.

التدخل الاقتصادي

181- قلب الإضراب.

182- الإضراب الاعتصامي.

183- استيلاء على الأراضي باستخدام اللا عنف.

184- تحدي الحصار.

185- تزوير بدافع سياسي.

186- الشراء الوقائي الاحتكاري.

187- حجز الموجودات (الأصول).

188- إغراق الأسواق بالسلع.

189- حماية محددة.

190- أسواق بديلة.

191- أنظمة مواصلات بديلة.

192- مؤسسات اقتصادية بديلة.

التدخل السياسي

193- إرهاق الأنظمة الإدارية.

194- كشف هوية العملاء السريين.

195- الرغبة في السجن.

196- العصيان المدني للقوانين (المحايدة).

197- العمل بدون تواطؤ.

198- ازدواجية السلطة والحكومة الموازية.

وبعد استعراض كتاب شارب " من الديكتاتورية إلى الديمقراطية " قدم شارب كتابًا آخر بعنوان " البدائل الحقيقية " وهو كتاب يتحدث عن البديل النضالي اللا عنفي في مواجهة العنف.

والكتاب يتكون من ثلاثة فصول يتناول الفصل الأول من الكتاب موضوع فهم طبيعة العنف وأسبابه.

ويتناول موضوع النضال اللا عنفي ويعطي أمثلة من التاريخ عنه ثم يتطرق إلى أنواع النضال اللا عنفي في وجه الخصم الديكتاتوري ويبحث في متطلبات نجاح النضال اللا عنفي ويسهب في شرحها.

يبحث الفصل الثاني أهمية التخطيط الإستراتيجي في النضال اللا عنفي لحل الأزمات المستعصية والتي تستلزم العنف لحلها ويشرح عن مستويات التخطيط الإستراتيجي من إستراتيجية الحركة العامة إلى تكتيك في أهداف محددة وثانوية.

وفي الفصل الثالث يتناول الكتاب موضوع خطوات التخطيط الإستراتيجي ويذكرها بإيجاز في خمس مراحل.

ويلحق شارب بالكتاب ملحقين الأول لبعض المصطلحات المستخدمة في النضال اللا عنفي والملحق الآخر في أساليب العمل باستخدام اللا عنف.

يهدف الكاتب إلى دراسة طبيعة العنف وإيجاد البديل الحقيقي له. ويرى الكاتب أن العنف والصراعات المسلحة تكون الخيار الأخير للدفاع عما يعتقده أطراف الصراع الخير والجيد.

ويرى الكاتب أن من مبررات العنف الدفاع عن الحرية والعدالة والدين والمعتقد ونشر الحضارة.

ويرى أن البديل للعنف هو النضال اللا عنفي بكافة أنواعه السلمية النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن الأمثلة على هذا النضال الثورة الروسية عام 1905 والمقاطعة الاقتصادية الصينية لليابان في أعوام 1908و1915و 1919.

وكذلك المقاومة اللا عنفية التي قادها غاندي في الهند ضد الحكم البريطاني. وأيضًا استخدام النضال اللا عنفي أدى إلى إسقاط الأنظمة الديكتاتورية في تشيكوسلوفاكيا عام 1989 وفي ألمانيا الشرقية عام 1991.

كما أن الانتفاضة السلمية أسقطت ديكتاتورية ماركوس في الفلبين عام 1986 وإسقاط نظام ميلوسوفيتش عام 2000.

ومن أساليب النضال اللا عنفي:

أولا: المظاهرات والمسيرات والاعتصامات.

ثانيا: رفض التعاون وتشمل الإضرابات ومقاطعة الانتخابات والعصيان المدني للقوانين اللا أخلاقية.

ثالثا: استخدام الطرق السلمية للتعطيل الأعمال الاعتيادية للنظام.

مفاهيم خاطئة عن النضال اللا عنفي:

يعتقد الناس أن العنف الأسلوب الأقصر للتغيير وأن النضال اللا عنفي يحتاج إلى مدة طويلة لتحقيق أهدافه، وأن خيار العنف هو خيار الأقوياء وأن خيار النضال اللا عنفي خيار الضعفاء...وأن النضال اللا عنفي لا ينفع مع الأنظمة الديكتاتورية التي لا تؤمن بحقوق الإنسان وقد تنجح في الأنظمة التي تؤمن بحقوق الإنسان.

متطلبات النجاح في النضال اللا عنفي

- القدرة على مواجهة وقلب تأثيرات القمع وذلك بسياسة (المصارعة اليابانية)

التي قد تنتج عن ظروف القمع فينتج صعوبات لتعامل الأنظمة مع الأشكال المختلفة للنضال اللا عنفي فيخلق وضعًا من الصراع يفتقر إلى الانسجام والتناسق.

وهذا التناقض يضعف موقف النظام ويزيد قوة المناضلين ضده. إن سياسة المصارعة اليابانية تؤدي إلى زيادة عزلة النظام عن ثلاث مجموعات وهي أعضاء جماعة النظام نفسه والمواطنون الذين يؤثر عليهم الوضع والأطراف المتورطون في النزاع بشكل غير مباشر.

- القدرة على تقويض مصادر قوة الخصم ومبدأ هذه الطريقة بسيط جدًّا أن الأنظمة الديكتاتورية بحاجة إلى مساعدة شعوبها والتي بدونها لا تستطيع أن تحافظ على مصادر قوتها السياسية والتي تشمل:

السلطة أو الشرعية، والمصادر البشرية، والمهارات والمعرفة التي يحتاجها النظام ويستمدها من الأفراد والمجموعات، والعوامل غير الملموسة مثل العوامل النفسية والفكرية والتي تشمل الأفراد الذين يطيعون النظام، ووسائل مادية كالمصادر الطبيعية والمصادر المالية والاتصالات والمواصلات. وأخيرًا العقوبات التي يهدد النظام باستخدامها لضمان خضوع الناس.

ونرى في كل المصادر السابقة أنها تعتمد على المجتمع والجماهير فإن رفضت الجماهير إعطاء الشرعية للنظام وتمردت عليه وقامت بإضرابات شاملة فإنها تشل الاقتصاد، وإن أوقفت الجماهير التعاون الإداري مع النظام أعاقت العمليات الحكومية وإن تمرد الشرطة والجيش على الأوامر ولم ينفذوا العقوبات فقد النظام القدرة على ممارسة القمع وهكذا ينهار النظام.

وحتى نستطيع أن نجعل النضال اللا عنفي بديلًا للعنف فيجب علينا تطوير أسلوب النضال اللا عنفي لمعالجة أنواع الأزمات التالية:

* إسقاط أنظمة الحكم الديكتاتورية.
* الوقوف في وجه أي انقلاب على الحكم وإنشاء ديكتاتوريات جديدة.
* مقاومة أي اعتداءات أو احتلال أجنبي.
* الحفاظ على وجود وأساليب الحياة الأصيلة.
* الوقوف في وجه اللا عدالة الاجتماعية والاقتصادية.
* نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان.
* إدخال وسائل إضافية للنضال باستخدام اللا عنف إلى المجتمعات الديمقراطية، وهذا كله يتطلب وجود خطط للنضال اللا عنفي تتمكن من معالجة الأزمات بطريقة فعالة ووجود هذه الخطط في النضال اللا عنفي هو مثل أهمية الخطط الإستراتيجية العسكرية في العمل العسكري.

إن عدم وجود صياغة لخطة عمل إستراتيجية دقيقة يؤدي بنا إلى انحراف الطاقة نحو قضايا ثانوية وتبديد طاقاتنا، وعدم استغلال الفرص التي تؤدي إلى تقدم في القضية، وتحديد نظام سير الأحداث، وتزيد من ضعف الطرف المناضل بشكل كبير ولذلك وجب علينا أن نضع أولًا الخطط الإستراتيجية للنضال اللا عنفي للوصول إلى أهدافنا بنجاح.

متطلبات صياغة إستراتيجية ناجحة

* فهم دقيق وكامل لمحتوى النضال.
* معرفة طبيعة الاختلاف بين ما هو عليه الوضع الآن والوضع المرغوب فيه.
* تقييم للعوائق التي تقف دون الوصول إلى الأهدا.

تقييم نقاط قوة وضعف النظام والمجموعة

* تقييم الواقع وحدود وعدد من الخيارات التي يمكن اتباعها.

* اختيار مجرى للعمل من خيارات موجودة.
* معرفة خطة شاملة للعمل تقرر الخطط الأصغر (التكتيكية) والطرق المحددة للعمل من أجل تحقيق الهدف الرئيسي.

خطوات التخطيط الإستراتيجي للنضال اللا عنفي

المرحلة الأولى: التقييم والتحليل الابتدائيان:

وهو يشمل نقاط صياغة الخطط الإستراتيجية واختبارها ودراسة إذا ما كان الوضع صالحًا للقيام بالنضال اللا عنفي

المرحلة الثانية: تطوير الإستراتيجية والتي تحوي:

* تطوير إستراتيجية عظمى للصراع ككل، وتعريف أهداف النضال بمفاهيم واضحة.
* هل بالإمكان تحقيق الهدف من الصراع في حملة شاملة منفردة أم أننا نحتاج إلى عدة حملات منفردة ذات أهداف محدودة.
* تطوير إستراتيجيات لحملات فردية لتحقيق المزيد من الأهداف المحدودة خلال فترة النضال وبذلك يصبح الإطار العريض للإستراتيجية العظمى أكثر تفصيلا.
* اختيار تكتيك قصير الأمد وأساليب عمل فردية تعمل على تطبيق الإستراتيجية العامة.
* التأكد من أن الخطة الإستراتيجية المتبناة تنسجم مع أهدافها وأنواع الضغوط المفروضة والتكتيك والأساليب المختارة.

المرحلة الثالثة: بناء القدرة

* ضمان أن الإستراتيجيات المختارة ضمن قدرة الشعب على تطبيقها.

* تعزيز المنظمات والمؤسسات التي هي خارج نطاق سيطرة النظام خاصة إذا كانت الإستراتيجية العامة تدعو هذه المنظمات إلى عدم التعاون مع النظام وتحديه.

* التخطيط لمساندة طرف ثالث دون الاعتماد عليه.

المرحلة الرابعة: النضال المفتوح

* التركيز على نقاط قوة المقاومين في مواجهة نقاط ضعف الخصم لتحقيق أهداف مختارة وفق الإستراتيجية العظمى.

* ضمان أن الخطة الإستراتيجية تطبق بطريقة منضبطة دون اللجوء إلى العنف.

* ضمان أن نشاطات النضال تساعد في تعزيز المقاومين.

* ضمان وصول المقاومين إلى المصادر الحرجة.

* خلق حالة من عدم التوازن بين النظام والمحافظة على استمرارها.

* تحدي قمع النظام مع استمرار التمسك بأشكال الصراع.

* الفعل بدلا من ردات الفعل والحفاظ على المبادرة والزخم.

* إعادة تقييم مستمرة لسير النضال وفق الخطة الإستراتيجية.

المرحلة الخامسة: نهاية الصراع

* نجاح أو إخفاق أو خليط من نتائج.

* عمل تقييم ما بعد الصراع والتخطيط للمستقبل.

الملحق الأول

يذكر الملحق الأول أهم المصطلحات المستخدمة في النضال باستخدام وسائل اللا

عنف منها التأقلم – سلطة – مقاطعة –امتناع مدني – إجراء مدني – تحدٍّ مدني – مقاومة مدنية –إضراب مدني –عصيان مدني –تحول –تفكك –إغلاق اقتصادي – حرية سياسية – إستراتيجية عظمى – مجموعة متظلمة – مصادر بشرية – مصادر مالية – آليات التغيير – أساليب – عدم التعاون – لاعنف (ديني وأخلاقي) – أسعمال لاعنف – إجبار باللا عنف – تمرد باستخدام اللا عنف – تدخل باستخدام اللا عنف – احتجاج وإقناع باستخدام اللا عنف – النضال اللا عنيف – ركائز الدعم – أسلحة اللا عنف –تحدٍّ سياسي – سياسة المصارعة اليابانية – قوة سياسية – عقوبات – اعتماد على النفس –مهارات ومعرفة –مصادر القوة – نضال إستراتيجي باستخدام اللا عنف – إستراتيجية – إضراب – تكتيك – عنف.

الملحق الثاني

يتحدث الملحق الثاني عن أساليب العمل باستخدام اللا عنف والتي بلغ عددها 198 وهي تصنف تحت إحدى المجموعات التالية (الاحتجاج والإقناع باستخدام اللا عنف وعدم التعاون والتدخل باستخدام اللا عنف).

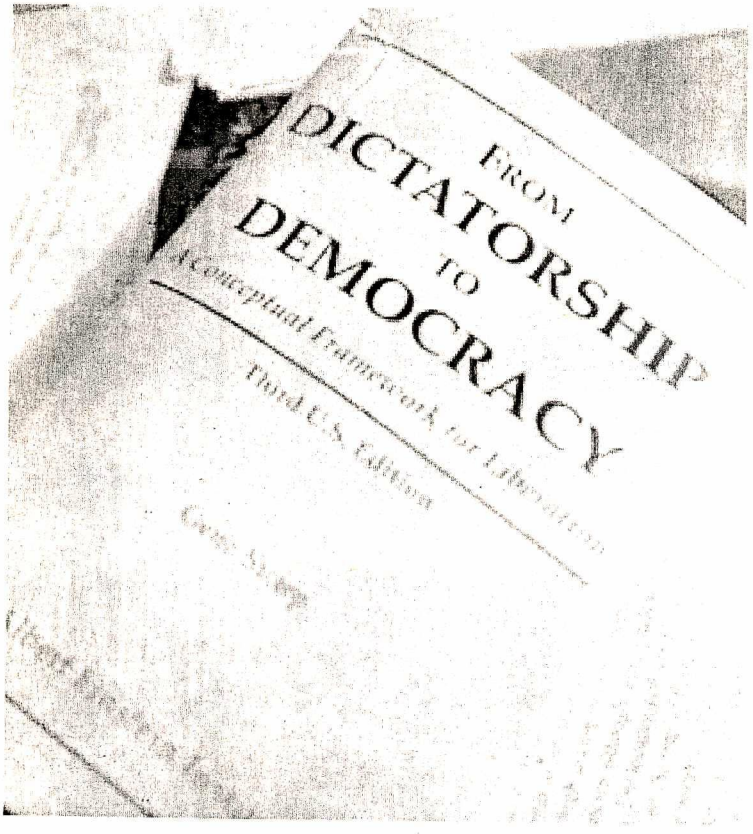

كتاب شارب " من الديكتاتورية إلى الديمقراطية " الذي وفر الغطاء النظري للثورات الملونة بما يضمن للغرب الأميركي هيمنته المطلقة على مقدرات الدول والشعوب فيما بعد الثورات.

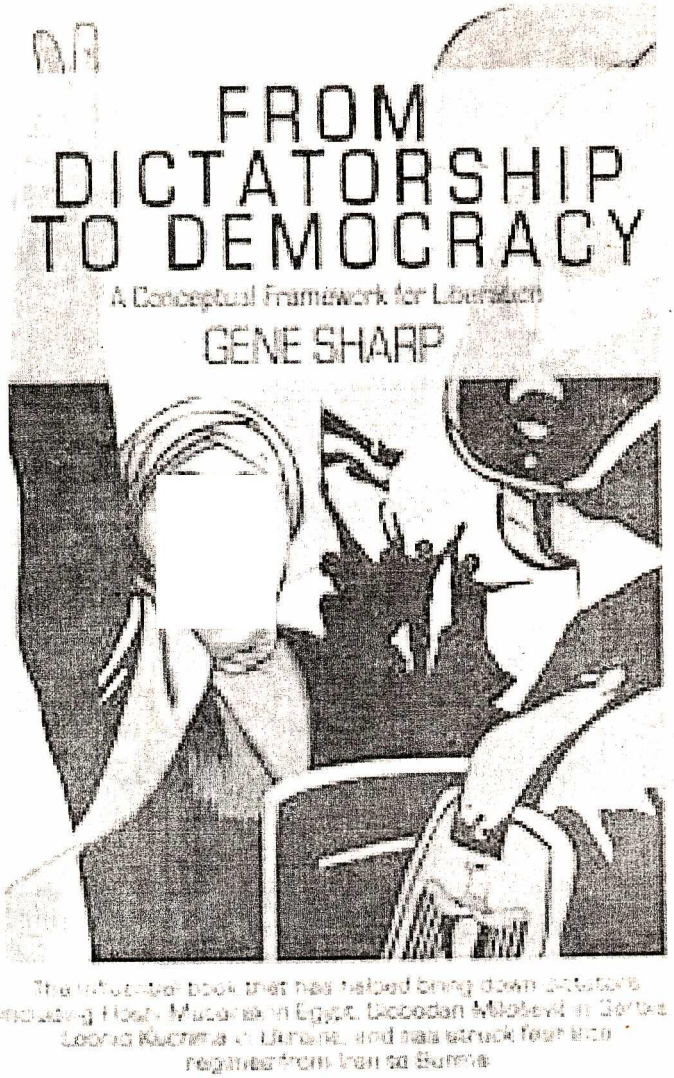

إحدى الطبعات التي لا تعد ولا تحصى من كتاب شارب الأشهر من الديكتاتورية إلى الديمقراطية

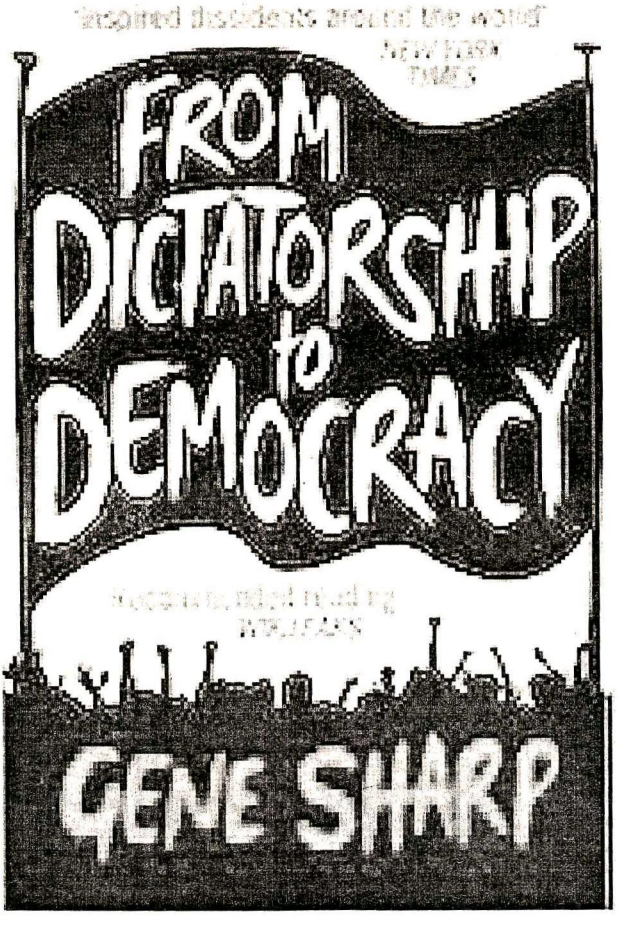

طبعة أخرى من كتاب شارب من الديكتاتورية إلى الديمقراطية

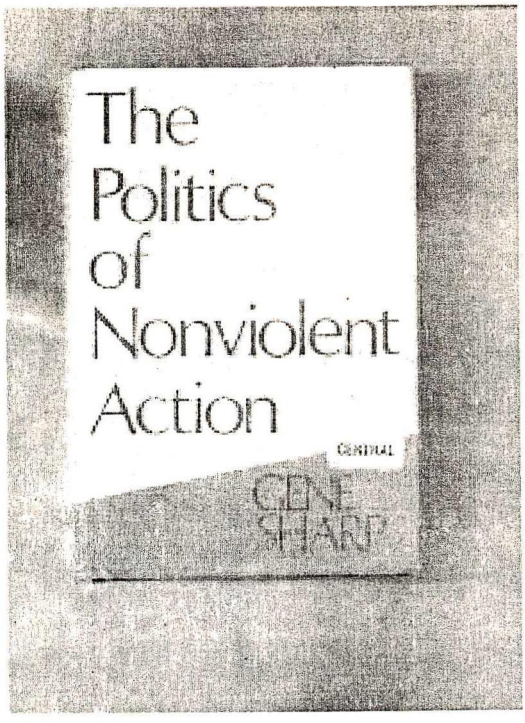

كتاب شارب سياسات الحراك غير العنيف، الذي يشرح فيه بعض تكتيكات ثورات اللا عنف.

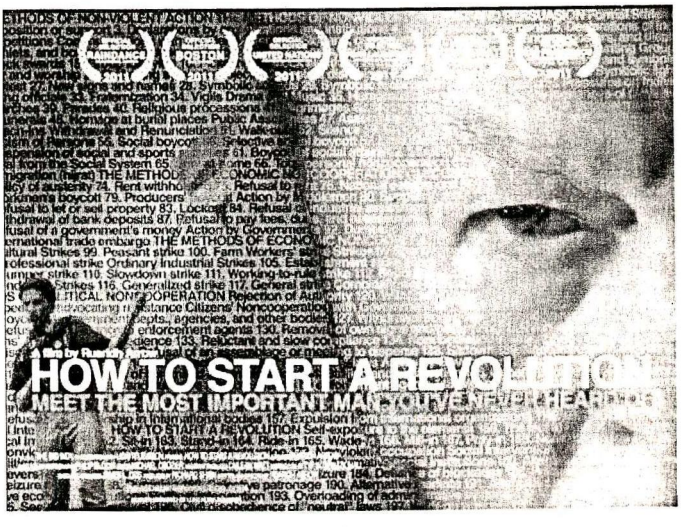

كيف تبدأ ثورة؟.. كتالوج يقدم فيه شارب للعالم بمزيد من التفصيل آليات بدء الثورات.

الفصل الخامس

شارب
وأوتوبور وكانافاس

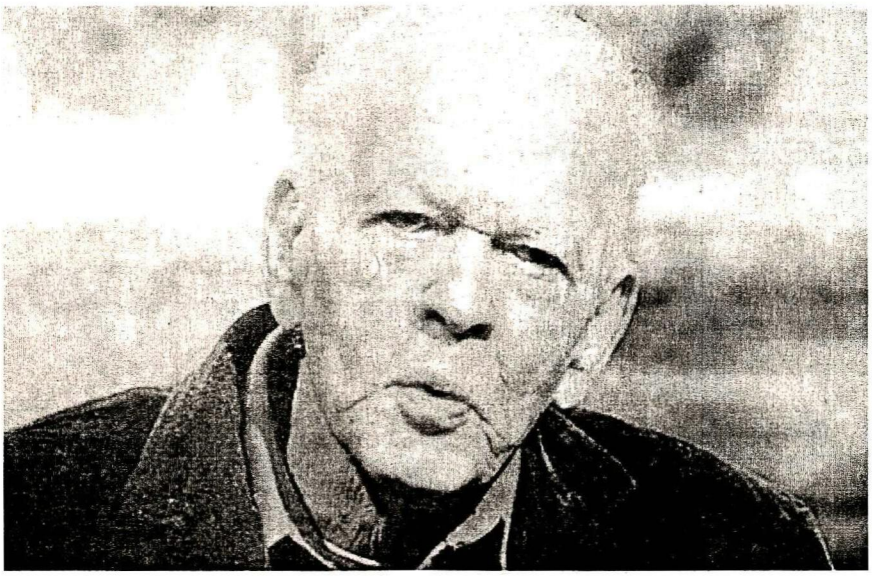

في عام 1999 بدأت مجموعة من الشباب الصربي موجة احتجاجات على حكم الرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش وأطلقوا على حركتهم اسم أوتوبور الذي يعني "المقاومة".

وتبنت هذه الحركة فكرة التظاهر السلمي والكفاح غير العنيف من أجل إسقاط حكم الرئيس ميلوسوفيتش، وهو ما حدث في عام 2000 بعد نجاح هذه الحركة في إشعال فتيل ثورة شعبية ضده.

حركة أوتوبور تبنت أفكار جين شارب الذي كتب باستفاضة عن فكرة النضال غير المسلح، وأشهرها كتابه: "من الديكتاتورية إلى الديمقراطية" الذي ترجم لأكثر من ثلاثين لغة، وتحول لكتيب إرشادات بالنسبة لكثير من الحركات السياسية والشبابية المناهضة لحكوماتها والساعية لإسقاطها من خلال بوابة العمل غير العنيف والتظاهر السلمي.

وهناك فيلم وثائقي ظهر لأول مرة في صربيا إبان ثورتها بعنوان "أستاذ الثورة" يتناول تعريفًا بجين شارب وأفكاره ودوره في التأثير على عدد كبير من الحركات من خلال "مؤسسة ألبرت آينشتاين" التي أنشأها عام 1983 للتوعية والتدريب على أفكاره في هذا المجال.

وقد مثلت حركة أوتوبور الصربية أول تطبيق عملي لأفكار جين شارب على الأرض من خلال ترجمة الأفكار إلى إستراتيجيات وتكتيكات وآليات تنظيم وعمل وحملات ذكية.

وكان لنجاحهم الكبير في إسقاط ميلوسوفيتش أن تحولت الحركة لرمز عالمي

للمقاومة السلمية وخاصة بين أوساط الشباب، حتى شعارهم الشهير " قبضة اليد " انتشر في عدة أماكن حول العالم سواء بين الشباب المناهضين للرئيس بوتين في روسيا أو الثورات الملونة في دول الاتحاد السوفييتي السابقة أو حركات المعارضة الشبابية في أميركا اللاتينية أو بين شباب الحركة الخضراء في إيران أو لبنان أو في مصر التي اتخذت حركة 6 إبريل من "القبضة" شعارًا لها وظهر علمها بشكل لافت خلال الثورة المصرية.

وقد تأسست أوتوبور في صربيا في أكتوبر عام 1998 وكانت القوة الدافعة خلف إسقاط نظام سلوبودان ميلوسوفيتش المعادي للهيمنة الأوربية والأميركية على أوربا الشرقية.

وقامت هذه الحركة بالتعاون مع الإعلام الغربي بشن حملة إعلامية هائلة ومليئة بالأكاذيب عن ميلوسوفيتش، وأثارت ضده الرأي العام في صربيا، وفي حين كان الناتو يقصف صربيا محاولًا إسقاط ميلوسوفيتش عسكريًا كانت أوتوبور تحشد الناس وتستعد لاجتياح الشارع.

وبعد أن فشلت حملة الناتو العسكرية، وفي 5 أكتوبر 2000 نجحت أوتوبور بتنظيم مظاهرة كبيرة أمام قصر ميلوسوفيتش، فأعلن تنحيه استجابة لطلبات شعبه.

وجاء تنحي ميلوسوفيتش مفاجأة لأوتوبور، فقد كانت ماكينتهم الإعلامية تزوّر مختلف أنواع الأكاذيب عنه، وقد لفقوا له تهمة تنظيم مذابح جماعية، وتهمة إطلاق النار على المواطنين، إضافة إلى تهم ارتكاب جرائم حرب مختلفة وتهم تدمير البنية التحتية لبلده، وتهم أخرى.

لم يتوقع الأوتوبوريون استسلام ميلوسوفيتش بسهولة رغم أنه يعرف أنه مطلوب لمحكمة الجنايات الدولية.

بعد تنحيه ذهب ميلوسوفيتش إلى منزله، فطارده الأوتوبوريون واعتقلوه ثم سلموه لمحكمة الجنايات الدولية، واستغرقت محاكمته عدة سنوات لم تتم إدانته خلالها بأي تهمة، وقد رفض تعيين محام للدفاع ودافع عن نفسه بنفسه، وانتهت المحاكمة بموته بنوبة قلبية في سجن المحكمة.

بعد إسقاط ميلوسوفيتش أنشأ الأوتبوريون حزبًا سياسيًّا، ودخلوا الانتخابات العامة بقائمة من 250 مرشحًا، ولم يتمكن أي من مرشحيهم من النجاح وبقيت الحركة بدون تمثيل برلماني.

وفي عام 2004 تعرضت قيادة حزبهم لفضيحة كبيرة بسبب اتهامات بالرشوة وتقاضي الأموال من جهات خارجية، وفي نهاية العام اندمجوا مع حزب آخر، وانتهى نشاطهم السياسي في صربيا.

في نوفمبر 2000 وبعد نجاح تنحي ميلوسوفيتش، نشرت مجلة " نيويورك تايمز " تحقيقًا للصحفي روجر كوهن حول أوتوبور، وفي هذا التحقيق صرح بول مكارتي مدير منظمة المنح الديمقراطية الأميركية أن منظمته قدمت لأوتوبور ثلاثة ملايين دولار بين عامي 1998 و2000.

وأقر مكارتي أنه التقى قادة الحركة عدة مرات. الجدير بالذكر أن منظمة المنح الديمقراطية تأسست عام 1989 وتتخصص بتمويل مشاريع الفوضى الخلاقة حول العالم.

وفي عام 2003 أسس قائدا أوتوبور (سلوبودان جينوفيتش وسيرغي بوبوفيتش) معهد كانفاس للتدريب على تطبيقات النضال اللا عنفي.

ويزعم المعهد أنه لا يتلقى تمويلًا أجنبيًّا، ولكنه يقر بتدريب آلاف الناشطين حول العالم، وقد صرح بوبوفيتش في فيلم وثائقي أنهم يتعاملون مع ناشطين في 30 دولة حول العالم. هذا المعهد هو حاليا واجهة التنظيم الأوتوبوري العالمي.

رغم أن قادة أوتوبور يزعمون أنهم لا يقبلون أي دعم من أي حكومة في العالم، فقد حصلوا في عام 2006 على منحة من المعهد الأميركي للحرية، وهو مؤسسة تابعة للكونغرس الأميركي، لإعادة إنتاج المنهاج المعتمد في إسقاط الأنظمة مع التركيز على الشعوب والثقافة الإسلامية، ولديهم حاليا منهاج تدريبي لإسقاط الأنظمة باللغة العربية.

ويحصل قادة أوتوبور على الدعم الأميركي بشكل غير مباشر عبر تمويل دراسة الناشطين في معهدهم، وقد مولت مؤسسات أميركية وأوربية متعددة دراسة عدد كبير من الناشطين التونسيين والمصريين في المعهد.

وفي نفس المحاضرة التي ألقاها في هارفارد، أقسم بوبوفيتش أنهم ليسوا على أي علاقة مع منظمة "احتلوا وول ستريت" التي تقود النضال السلمي ضد الإمبريالية داخل أميركا.

ورغم ذلك فقد ألقى أحد قادة أوتوبور (إيفان ماروفيتش) كلمة في أحد نشاطات منظمة احتلوا وول ستريت، واتهم لاحقا أنه كان مندسًا من قبل وكالة المخابرات الأميركية للتشويش على الاحتجاجات الأميركية.

وتوزع أوتوبور منهاجها التدريبي مجانًا على الإنترنت، ودليل الطلاب لهذا المنهاج مترجم للعربية. يحوي الدليل 50 نقطة حاسمة يجب التدرب عليها لاستخدامها في مختلف المراحل لإسقاط النظام والحصول على السلطة السياسية باستخدام اللا عنف.

يبدأ المنهج بالتمييز بين السلطة السياسية والقوة السياسية، ويعتبر أن القوة السياسية تستطيع التحكم بالسلطة السياسية، ويعدد عدة مصادر للقوة السياسية ثم يتم التدريب على تحديد مصادر القوة السياسية في المجتمع المستهدف، وطرق إضعافها بهدف السيطرة عليها.

يركز المنهج على أن السلمية أفضل من العنف كوسيلة لإسقاط الأنظمة والحصول على السلطة السياسية.

وينصح المنهج بالتركيز على القدرات وليس على النوايا، ولذلك يتحالف الأوتوبوريون مع من يدعمهم بقوة بغض النظر عن نواياهم بناء على تحليلهم للوضع الحالي، وقد تحالفوا مع الناتو لقصف بلدهم الأصلي صربيا.

دليل الكفاح السلمي: منهاج إسقاط الأنظمة لدى معهد كانفاسيرى، المنهج أنه لا يوجد نضال عفوي ناجح، ويطلب من الأوتوبوريين تخطيطًا دقيقًا لكل نشاط يريدون

القيام به، بدءًا من الإستراتيجية وصولًا إلى طريقة تحقيق الأهداف. ويقول إنه لا توجد نشاطات أوتوبورية غير مخططة ولا تخدم الهدف النهائي بالسيطرة على السلطة السياسية.

يعتبر المنهج أن الاتصالات إحدى أهم الوسائل التي يمكن استخدامها في إسقاط الأنظمة، وبالنسبة لهم تشمل الاتصالات وسائل الإعلام. ويقسم المنهج عملية الاتصال إلى ثلاثة أسس:

- **الهدف:** وهناك أربعة قطاعات عامة هي: الأعضاء والمساعدون، جمهور أوسع نطاقًا يقسم إلى شرائح حسب المجتمع، الحلفاء المحتملون، المجتمع الدولي.
- **صياغة الرسالة المناسبة لكل هدف:** ويقدم دليلًا لتلفيق الرسائل الإعلامية لتزيد تأثيرها، ويدعمه بأمثلة من نمط: نحن ديمقراطيون صادقون نواجه أعداء ديكتاتوريين فاسدين غير شرعيين يتهموننا بالخيانة والإرهاب ويزعمون أنهم وطنيون لا يقهرون.
- **حامل الرسالة:** يقترح المنهج عدة حوامل حسب القطاع المستهدف، مثلا يجب التراسل مع المنظمات الدولية بالإنجليزية عبر الإنترنت، والتراسل مع الجمهور الأوسع باستخدام التلفزيون أو وسائل الإعلام المؤثرة.

ويعتبر المنهج أن من الضروري إشهار الرسائل إعلاميًا، والنشاطات العامة إحدى أهم الوسائل، ولذلك يقدم دليلًا عمليًا على أساليب تنظيم النشاطات العامة، ويحوي فصلًا خاصًا بعنوان "كيف نسبب المشاكل للخصم". وتركز تكتيكات الأتوبوريين على تلميع وجوه إعلامية جديدة ليس لها تاريخ واستخدامها لفترة قصيرة ثم رميها والاستعاضة عنها بوجوه جديدة في حين تبقى قيادة التنظيم في الظل وتشرف على العمل من بعيد.

وبعد أن يتدرب الطالب على الأساسيات ينتقل المنهج إلى التدريب العملي، وهو وضع الإستراتيجيات للاستيلاء على السلطة في المنطقة المستهدفة، ويقسم الإستراتيجيات إلى أربعة مستويات: إستراتيجيات كبرى وإستراتيجيات مرفقة وتكتيكات ووسائل محددة.

في نهاية هذا الدرس يخرج الطلاب بإستراتيجية لإسقاط النظام.

ويدرب المنهج الطلاب على بناء القدرات التكتيكية من خلال الحملات المناسبة لوضع المجتمع المستهدف، ويتطرق لطرق استفزاز الجماهير ويعرض نماذج من الأحداث المؤثرة في المجتمع، ثم يحدد خططًا لاستثارة الجماهير ووفق الإستراتيجية التي تم تصميمها، ويصمم الحملات المرافقة لذلك، ويتوسع في شرح طرق التمويل المختلفة بما فيها التمويل الخارجي.

ويقدم المنهج شرحًا تفصيليًا لطرق بناء فرق العمل وإدارة الموارد البشرية للحملات التي تم تصميمها، ويشمل تدريبات على تجنيد العملاء المتطوعين وتوجيههم وتلبية احتياجاتهم وترقية بعضهم إلى ناشطين. ويفرد المنهج فصلًا كاملًا لإدارة الوقت وتوزيع النشاطات والناشطين عليه يتم في نهايته تصميم روزنامة إسقاط النظام.

ويعتبر المنهج أن كل النشاطات والحملات يجب أن تقود إلى تجمع كبير، ويخصص تدريبًا كبيرًا على طريقة تحقيق هذا التجمع بدءًا من مرحلة التخطيط. ينصح المنهج بتنفيذ التجمع الكبير عندما تصل قوة الحشد إلى 10٪ من مجموع السكان.

ويفرد المنهج فصلين كاملين للتدريب على مواجهة الشرطة ومواجهة الاعتقال والتعامل مع القنابل المسيلة للدموع وطرق تفريق المظاهرات، ويقترح القرع على الطبول وأدوات المطبخ كأحد تكتيكات شحذ الهمم في المظاهرات.

بنهاية المنهج يغادر الطلاب المعهد ومعهم إستراتيجية ومجموعة خطط عمل جاهزة وروزنامة لتنفيذ النشاطات وخطة للفبركات الإعلامية وجدول لتوزيع المهام، ويبقى عليهم تحديد ساعة الصفر.

وقد تم تطبيق ثورات شارب من خلال أنشطة أوتوبور الصربية وكانافاس وبالتعاون مع المخابرات الأميركية في جورجيا. ففي عام 2000 تم انتخاب إدوارد شيفارنادزه رئيسًا لجورجيا للمرة الثانية، وجاء هذا بعد نجاته من ثلاث محاولات اغتيال جرت أعوام 1992 و1995 و1998.

وخلال حكمه عمل على تأمين استقرار جورجيا في محيطها المضطرب وعلى توازن علاقاتها مع جارتها القوية روسيا ومع الغرب.

ورغم أن الغرب شن حملة إعلامية هائلة تتهم حكمه وأسرته بالفساد، فقد كانت زوجته محررة في صحيفة خاصة، وابنته مديرة استوديو تلفزيوني، وزوجها رجل أعمال أنشأ عدة شركات بتمويل أميركي وليس بأموال جورجية.

تعرضت جورجيا خلال حكم شيفارنادزه لعدة محاولات للتدخل الخارجي، منها مثلا محاولات انفصالية مرفقة بأعمال إرهابية في أوستيا وأبخازيا شهدت مقتل حوالي عشرة آلاف جورجي، ولكن حكمه القوي تمكن من إعادة الاستقرار إليها، وأخيرًا حصلت جورجيا على عقد بقيمة 3 بلايين دولار ممول من الغرب لإقامة خط لنقل الغاز الروسي إلى أوربا.

في عام 1996 تأسست منظمة "معهد الحرية" للدفاع عن حقوق الإنسان في جورجيا، وكانت بدايتها كحركة وطنية استفادت منها الحكومة واعتمدت العديد من مقترحاتها، خصوصًا في مجال الإصلاح السياسي وحماية الأقليات ومحاربة الفساد. بدأت منظمة معهد الحرية تتعرض لانشقاقات من قبل منظمات طلابية جامعية، وقد أدت هذه الانشقاقات إلى ظهور تيار طلابي جديد أطلق على نفسه اسم "كمارا" التي تعني "كفاية" وقد اعتمد تيار كمارا شعارًا يكاد يطابق شعار حركة أوتوبور الصربية.

حصلت كمارا على دعم منظمة معهد الحرية في مشروعها المعلن لمكافحة الفساد في قطاع التعليم.

حصلت كمارا على تمويل من مؤسسة الحرية الأميركية، ومن المعهد الديمقراطي الأميركي ومن الاتحاد الأوربي ومن مؤسسة المنح الديمقراطية الأميركية ومعهد الديمقراطية الدولي ومنظمة الأمن والتعاون الأوربية ومن المجلس الأوربي. استخدم التمويل لتجنيد الأفراد وتدريبهم على التسويق السياسي، العلاقات العامة، الإعلام،

تجنيد الآخرين، مهارات النقاش السياسي، وعلى منهاج إسقاط الأنظمة لدى معهد كانفاس الصربي الذي أسسته أوتوبور.

في عام 2003 كان لدى كمارا تنظيم قوي في كل المدن الجورجية وفي كل الجامعات، وتمكنت من تنظيم انتخابات داخلية لانتخاب "حكومات جامعية" في كل الجامعات الجورجية. قامت هذه الحكومات بالعمل بشكل مستقل بدون إدارة مركزية، ولذلك لم يعرف من كان قائد "كمارا" الحقيقي الذي يضع إستراتيجياتها.

قبيل موعد الانتخابات البرلمانية في جورجا عام 2003 قامت الحكومات الجامعية لحركة كمارا بتنظيم هيئة رقابة غير رسمية على الانتخابات، وبدأت حملة نشاط إعلامي مكثف جعلها اسمًا لامعًا في كل وسائل الإعلام الجورجية والمهتمة بجورجيا.

جرت الانتخابات البرلمانية في 2 نوفمبر 2003، وترافقت باستفتاء عام على تخفيض عدد النواب. وخضعت الانتخابات لرقابة مجموعة من المنظمات الداعمة لحركة كمارا إضافة إلى الحركة نفسها. وفي اليوم التالي أعلنت هذه المنظمات أن الانتخابات قاصرة عن معايير الديمقراطية.

رغم أن الانتخابات لم تكن رئاسية، فقد أعلن ميخائيل ساكاشفيلي أنه قد ربح الانتخابات مستندًا إلى استطلاعات الرأي غير الرسمية، وأعلن أنه لا يقبل إلا نتائج الاستطلاع الذي نظمته مجموعة مراقبة الانتخابات المحلية، ودعا الجماهير للتظاهر في الشارع وللعصيان المدني ضد السلطات، وأعلن مشروعه بإسقاط الرئيس وإعادة الانتخابات.

تسارعت الأحداث السياسية لاحقًا واشتعلت جورجيا بالمظاهرات المؤيدة والمعارضة للرئيس، وفي 23 نوفمبر التقى الرئيس شيفارنادزه مع وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف، وبعد اللقاء خرج ليعلن استقالته من رئاسة جورجيا. بعدها أصبح شيفارنادزه لاجئا سياسيًّا في ألمانيا، وهو لا يملك منزلاً شخصيًّا حتى الآن.

أكد معهد الدفاع عن الديمقراطية الأميركي أن الملياردير الأميركي جورج سوروس أنفق 24 مليون دولار خلال ثلاثة أشهر فقط لإسقاط الرئيس شيفارنادزه.

وفي عام 2005 ألقى سوروس خطبة في تبليسي عاصمة جورجيا قال فيها إنه سعيد لأن مؤسسته ساهمت في تمهيد الطريق لثورة جورجيا. وقد تولى العديد من موظفي مؤسسة سوروس مناصب كبيرة في النظام الجورجي الجديد.

بعد سقوط شيفارنادزه أصبحت جورجيا دولة معادية لروسيا، وحصلت حرب بينهما، وانتقل التوتر السياسي والعسكري معها إلى العلاقات الاقتصادية كما ارتفعت نسبة البطالة في جورجيا إلى 12,6٪ عام 2007 وانخفض معدل الدخل الفردي إلى (200 دولار شهريًا للأسرة) ليصبح واحدًا من أقل معدلات الدخل في أوربا الشرقية.

اعتمدت سياسة ساكاشفيلي "الإصلاحية" على تحويل الاقتصاد الجورجي من الإنتاج الزراعي إلى السياحة والخدمات، فتحولت من دولة منتجة إلى مستهلكة. ولم تشهد جورجيا تحسنًا في مكافحة الفساد إلا بدءًا من عام 2006، أي بعد إسقاط النظام بـ 3 سنوات.

واختفت حركة كمارا بعد إسقاط النظام، وانتقل بعض قادتها ليعملوا مع ثورة أوكرانيا في 2004، ويقول رئيس تحرير إحدى أكبر الصحف في جورجيا إن الرأي العام يعتقد أن جورج سوروس هو الشخص الذي خطط ومول عملية تنفيذ ثورات لا عنف جين شارب لإسقاط الرئيس شيفارنادزه.

دليل أوتوبور الذي نشرته بالعربية " 50 نقطة حاسمة يجب التدربِ عليها لاستخدامها في مختلف المراحل لإسقاط النظام "

شعار حركة أوتوبور الصربية

شعار حركة كمارا الجورجية (نفس قبضة اليد)

شعار حركة 6 إبريل المصرية

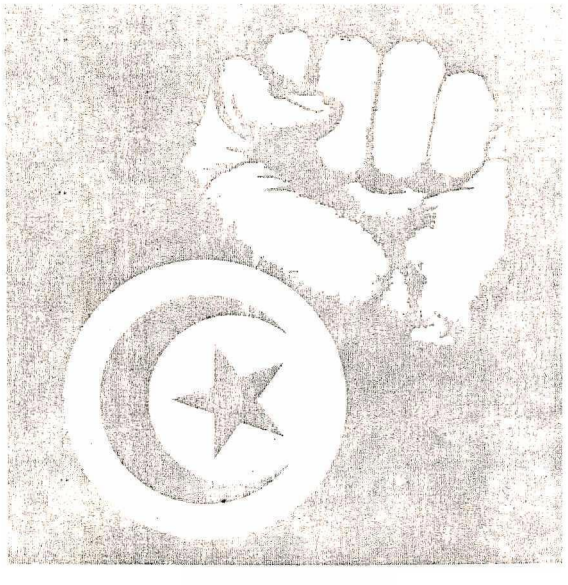

شعار الثورة التونسية

الفصل السادس

التآمر على «الربيع العربي»!

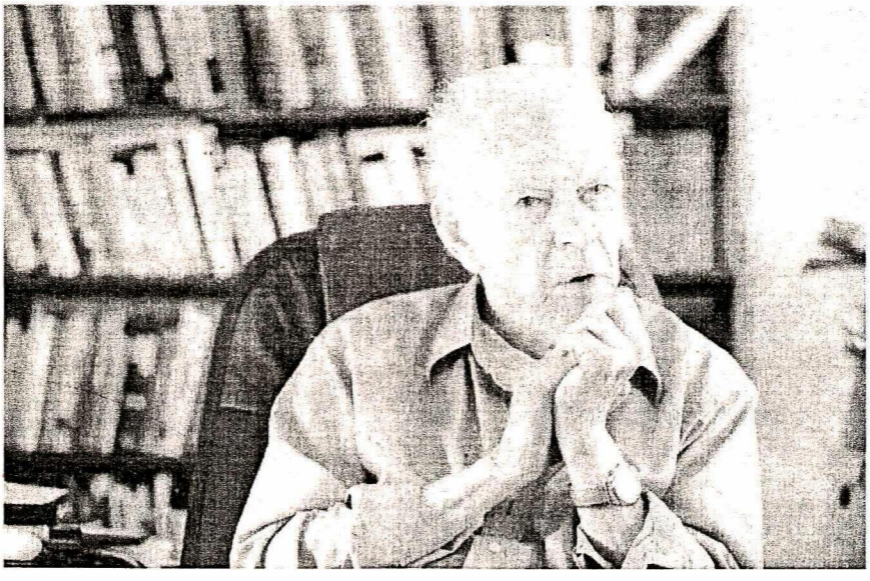

هل هناك علاقة بين ثورات ما يسمى بالربيع العربي وما يحاك لنا في الغرب الأميركي من مؤامرات مع وجود إسرائيل في الخلفية كما جرت العادة وهل جين شارب جزء من المؤامرة؟

هذا هو السؤال الذي ما برح يطرح نفسه، ليس بهدف التشكيك في هذه الثورات، وإنما من باب حمايتها من أن تسقط في فخ من دفعوا إليها أو ساعدوا عليها في الخارج، والحفاظ على نقائها الثوري كحركة وطنية نبيلة وأصيلة.

ومن المهم هنا ما دمنا نناقش هذه القضية أن نتناول ما تم الكشف عنه في هذا الصدد من أسرار أذيعت في الخارج وقد تساعد على تسليط الضوء في هذا الصدد خاصة على الدور الذي قد يكون قد لعبه شارب في هذا الصدد .

في شهر فبراير 2011 وفي خضم الثورات العربية التي بدأت بتونس، وانتقلت - آنذاك - إلى مصر، خرج المحلل الأميركي الشهير وليام إنغدال ليقدم تفسيرًا توقف عنده العالم طويلا لحركات الاحتجاج التي تجتاح دولًا عربية، واصطلح على تسميتها بثورات الربيع العربي.

تفسير ما يحدث كان صادمًا للبعض، ومتوقعًا من البعض، وشديد القسوة بالنسبة للبعض الآخر.

قال إنغدال إن ما يحدث ليس سوى تطبيق حرفي لنظرية تم طهيها على نار هادئة في الغرب، وهي نظرية " التدمير الخلاق ".

وقال: " فن تنظيم الثورات العربية أميركي الأسلوب غايته التدمير الخلاق في الشرق الأوسط، وأن هناك نماذج واقعية يمكن القياس عليها.

وربما لو جاء هذا الكلام من محلل عادي أو معروف لما توقف عنده العالم، ولكنه جاء على لسان محلل أميركي للتطورات الاقتصادية والسياسية في العالم، تنشر مقالاته في العديد من الصحف والمجلات والمواقع العالمية المعروفة، وتلهث وراء استشاراته حكومات كثيرة، كما أن له كتبًا عديدة من ضمنها كتاب شهير بعنوان " السيطرة كاملة الطيف: الديمقراطية الشمولية في النظام العالمي الجديد ".

وكانت العشرون سنة السابقة قد شهدت عدة ثورات، من بينها ثلاث ثورات مهمة: هي على التوالي الثورة الصربية والثورة الجورجية والثورة الأوكرانية أو ما يسمى بالثورات الملونة.

جميع هذه الثورات كانت مدنية سلمية ابتعدت عن العنف، حيث تم استخدام المظاهرات والإضرابات ضد حكومات وصفت بالفساد والديكتاتورية، وقد نجحت كل هذه الثورات بإحداث مسيرات عارمة في الشوارع في أعقاب انتخابات وصفت بغير العادلة، أو طلب انتخابات حرة ونزيهة، وبالمطالبة باستقالة أو الإطاحة بالقادة الديكتاتوريين.

وأضاف إنغدال: " إلا أن واقع الأمور يقرر أن الثورات مثلها مثل الحروب لا بد لها من قيادة وتنظيم وخطوط إمداد وتدريب ودعم مادي ومعارك نفسية وإعلامية، مما لا يمكن معه - كما يرى الكثيرون - الافتراض بسذاجة أن هذه الثورات ونتائجها جاءت عفوية أو عديمة التنظيم ".

وواصل إنغدال أحاديثه وتفسيراته لما يجري في الشرق الأوسط أو المنطقة العربية على وجه الخصوص، فيما وصف بأنه ثورة في مجال التحليل السياسي للحركات الاحتجاجية في إعادة لتفسير دوافع قيام هذه الحركات، وكذلك الثورات والهبّات الشعبية.

وقد دفع إنغدال العالم بتفسيراته إلى البحث عن جذور مخططات الغرب الأميركي لتغيير خريطة العالم العربي، وفق نظرية التدمير الخلاق، أو الدمار الخلاق، التي لم تحظ منا بالاهتمام الواجب.

ومن أهم ما توقف عنده العالم ما قاله إنغدال عن الدور الخطير للمنظمات الغربية مثل منظمة " راند " الأميركية فيقول: " مؤسسة راند بالتعاون مع كارنيجي للسلام قاما بعمل دراسة لمشروع الشرق الأوسط الكبير يمتد من المحيط للخليج ويشمل دول شرق آسيا متضمنة روسيا والصين ".

ويوضح إنغدال : " هناك دراسة لراند عام 2008 وضعت إستراتيجية للتدخل في منطقة الشرق الأوسط عبر منظمات غير حكومية باسم نشر الديمقراطية كوسيلة للحرب على الإرهاب في المنطقة باستخدام التكنولوجيا الحديثة ".

ويقول: " قبل زيارة أوباما في 2009 للقاهرة قامت هيلاري كلينتون باستقبال مجموعات من شباب التغيير تابعين لبرنامج جيل جديد والتابع لمؤسسة فريدوم هاوس".

ويضيف إنغدال: " فريدوم هاوس والصندوق الوطني للديمقراطية هي أدوات تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قاله جورج بوش الابن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. مجلس إدارة الصندوق الوطني للديمقراطية يتضمن نائب وزير الدفاع السابق ورئيس وكالة المخابرات المركزية فرانك كارلوتشي من مجموعة كارلايل والجنرال المتقاعد ويسلي كلارك من منظمة حلف شمال الأطلسي والمحافظين الجدد، وزلماي خليل زاد الذي كان مهندس الغزو الأميركي على أفغانستان في زمن جورج بوش وأصبح بعد ذلك سفير أفغانستان فضلًا عن العراق المحتل.. عضو آخر في مجلس الأمناء هو فين ويبر شارك في ترؤس قوة عمل رئيسية مستقلة عن سياسة الولايات المتحدة تجاه التغيير في العالم العربي وكذلك وزيرة الخارجية الأميركية السابقة مادلين أولبرايت ومفكرا مشروع القرن الأميركي الجديد: ديك تشيني ودونالد رامسفيلد، اللذان دعيا لتغيير النظام بالقوة في العراق عام 1998 ".

ويوضح إنغدال: " تشمل الخطة الاستيلاء على بنوك المنطقة واقتصادها عن طريق إحلال ذلك ببنوك عالمية تتحكم فيها واشنطن مباشرة بالإضافة إلى السيطرة على بترول المنطقة وتأمين دولة إسرائيل من المناطق المحيطة بها وتشمل المنطقة من الصين حتى المغرب العربي. في 2004 لقي مشروع الشرق الأوسط الكبير رفضًا شديدًا من دولتين

عربيتين مؤثرتين هما مصر والسعودية ليضطر بوش على وضع ذلك المشروع جانباً".

والحقيقة أنه ومنذ منتصف التسعينيات والأميركيون يروجون لخيار "الدمار الخلاق في الشرق الأوسط" أي مشروع القلب الجذري لأوضاع المنطقة، لتصحيح اختلالاتها الحادة والمتفاقمة، وتأهيلها للديمقراطية والحرية، في مقابل خط المهادنة الذي طبع مسلك الإدارات الأميركية المتتالية مع الأنظمة القائمة.

ولهذا الغرض، كان مشروع غزو وتدمير العراق الذي أطلقوا عليه اسم"تحرير العراق" الذي أريد مدخلا لإعادة صياغة الفضاء الشرق أوسطي، من منظور أن قلب النظام الحاكم في بغداد سيؤدي تلقائيًا إلى إحداث زلزال نوعي في باقي دول المنطقة، يكون له تأثير مشابه لانهيار جدار برلين في أوربا الشرقية.

ولم يكن الرئيس الأميركي - آنذاك - جورج بوش ليقدم على هذه الخطوة لولا هجمات 11 سبتمبر ضد واشنطون ونيويورك، التي وفرت الغطاء وقدمت الذريعة لكي ينفذ المحافظون الجدد مخططهم الموجود سلفًا، وفق قناعاتهم بأطروحتهم الأيديولوجية المتمثلة في أن حماية مصالح الولايات المتحدة الحيوية في العالم مرهونة بتعميم النموذج الأميركي.

ومن المعروف أن هذا الإيمان بسموّ الحضارة الأميركية وصلاحيتها الكونية الشاملة، يمثل أحد ثوابت الخطاب السياسي الأميركي، وقد تنبه الكسيس دي توكفيل، في كتابه حول الديمقراطية الأميركية الصادر عام 1830م إلى هذه الحقيقة، ملاحظاً أن الأميركيين يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم "الشعب الوحيد المتدين والمتنوّر والحر"، وهو المعنى نفسه الذي عبر عنه مفكر أميركي معاصر، هو بنجامين بربر بقوله "في كامل تاريخنا احتفظنا بفكرة أميركا بريئة في مواجهة عالم صعب وفاسد".

ومن منطلق هذا السموّ، وباعتبار هذا الاستثناء الفريد، يتعين على أميركا حمل رسالة الحرية والفضيلة إلى العالم.

وتتضح خطابات الرئيس بوش بهذه المعاني، التي تشكل الخلفية الأيديولوجية

لمشروعه الإصلاحي للمنطقة الشرق أوسطية، المتمحور حول كسر طوق الاستبداد وتشجيع الإصلاحات الديمقراطية.

ويمكن العودة إلى تصريح الرئيس بوش لصحيفة "واشنطن بوست" (12 يناير 2005) "إذا أردتم أن تعرفوا ما أفكر فيه بخصوص السياسة الخارجية، ما عليكم إلا أن تقرأوا كتاب حالة الديمقراطية، إنه كتاب رائع".

وقد أعلن الرئيس بوش أنه وزّع العديد من نسخ الكتاب على مستشاريه وبعض أصدقائه من رؤساء الدول. وقد كتبت صحيفة "نيويورك تايمز" أن شارانسكي(مؤلف الكتاب) استقبل في البيت الأبيض في نوفمبر 2004، وشكل خطابه جوهر البرنامج الانتخابي للرئيس بوش في دورته الرئاسية الجديدة، كما أحالت وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس إلى الكتاب ذاته في مقابلتها مع الكونغرس عند تعيينها، واعتبرته فتحًا في العلاقات الدولية.

والفكرة الأساسية التي يتأسس عليها الكتاب هي اعتبار الإرهاب نتاجاً طبيعيًّا ومباشراً للاستبداد، وللقضاء المبرم عليه، لا بد من بلورة مشروع عالمي واسع وصارم للقضاء على الديكتاتورية، من خلال إسقاط الأنظمة الأكثر شمولية، والضغط بمختلف الوسائل على بعض الأنظمة الأخرى، واحتضان المعارضات المناوئة للأحكام المستبدة.

ولا يتعلق الأمر بالنسبة لشارانسكي بمجرد اختيار أخلاقي أو أيديولوجي، بل بشرط لا غنى عنه للسلم الدولي.

ويستند شارانسكي في كتابه إلى الدبلوماسي الأميركي مارك بالمر، الذي أصدر عام 2003 كتابا مثيراً بعنوان "تحطيم الشر الحقيقي"، وضع فيه خطة متكاملة للتخلص من الاستبداد قبل عام 2025، معتبراً أن هذا المشروع ليس مطلوباً فحسب، بل قابلا للتحقيق، وبوسائل شتى ليست عنيفة في الغالب.

ويخلص إلى أن منطقة الشرق الأوسط، مؤهلة لتكون ساحة هذه المعركة التي يزعم أنها "مقدسة" لفرض ما يسميه بالحرية وإنهاء الاستبداد.

أما الوسائل التي ينصح باستخدامها فتتراوح بين إنشاء قطاع وزاري لإسقاط المستبدين، وإصدار قانون دولي يعتبر الديكتاتورية جريمة ضد الإنسانية، وإنشاء تحالف دولي واسع لمقاطعة الأنظمة الديكتاتورية والعمل على إسقاطها، ودعم المعارضات الداخلية وحمايتها.

والمعروف أن بالمر، الذي كان مقرباً من الرئيس بوش الأب، واضطلع بدور أساسي في الدبلوماسية الأميركية خلال السنوات الأخيرة من الحرب الباردة، يمارس تأثيرًا واسعًا حاليًا في دائرة القرار، وينظر إلى كتابه المذكور بصفته دليلاً عمليًا للسياسة الخارجية الأميركية.

وفي 21 فبراير 2011 قدمت هيئة الإذاعة البريطانية " بي بي سي "، تقريرًا خطيرًا وصفت فيه " جين شارب " بأنه الرجل الذي يرجع إليه الفضل في إسقاط الرئيس المصري حسني مبارك.

ومع ذلك فجماعة " أوتوبور " أي الحركة الصربية المعارضة التي طردت الرئيس الصربي السابق سلوبودان ميلوسوفيتش والتي آمنت بفكر شارب قد أضحت بمثابة مركز الجذب لكافة الجماعات الأيديولوجية المعارضة للأنظمة الحاكمة حول العالم، شرقًا وغربًا بل باتت مركزًا للتدريب الخفي والعلني في آن.

إضافة إلى ذلك فقد نشأت جماعة صربية أخرى عرفت باسم منظمة " كانفاس " والتي هي اختصار للاسم الأصلي " مركز المقاومة السلمي العالمي " والذي أسسه وموله المليونير بيتر أكرمان.

والخطير بالفعل في المشهد هو ما أكده " سي. بوبوفيتش " مدير " كانفاس، في بلجراد في تشرين الثاني نوفمبر من العام 2010 أي قبل ثورة يناير بمصر بأقل من شهرين وهو أنهم عملوا مع المصريين، وأن هذا التعاون هو ثمرة جهود جين شارب " الفكرية، وأفكاره المتعلقة بالنضال السلمي.

وقد أدار أكرمان بالفعل منذ عدة سنوات ورشة نظمها " المركز الدولي أو العالمي

للمقاومة السلمية " كانافاس " في القاهرة، وقد صرح لاحقًا بعض الذين شاركوا في تلك الورشة بأنهم أضحوا من الناشطين في الثورتين اللتين شهدتهما كل من تونس ومصر، وأنهم قاموا بترجمة مقتطفات من كتابات شارب إلى اللغة العربية، وأنهم تمسكوا برسالته التي تتحدث عن " مهاجمة نقاط ضعف الحكام المستبدين ".

ورغم نفى شارب دوره في ثورة يناير إلا أنه هو نفسه في كتابه الأحدث " الانقلاب المضاد " الذي صدر قبل ثورة يناير نجده يعترف بأن مصر معرضة لانقلاب يستغل مشاعر الظلم ويرسم من جديد " خريطة طريق " للمصريين وكيف لهم أن يهزموا الثورة المضادة... كيف ذلك؟

ويرى شارب بداية الأمر أن الفترات الانتقالية التي تتبع انهيار الديكتاتورية هي مهمة للغاية وخطيرة جدًّا، ذلك أن الهياكل الديمقراطية الجديدة، أو حتى إجراءات مبادئها قد لا تكون تأسست بعد بشكل واضح وقد تكون ضعيفة لهذا يجب أخذ الحذر الشديد في التعامل السياسي.

والمثير في صفحات كتاب " جين شارب " الجديد عن الانقلاب المضاد الدقة شبه المتناهية في توصيف المشهد المصري على الخصوص بعد عام من ثورة 25 يناير وتغير النظام السياسي المصري الحاكم، إذ يشرح الأسباب التي تدفع في طريق الانقلاب حال توافرها، لا في مصر فقط بل في أي مجتمع يعيش نفس الظروف التحريرية الثورية، ومن أهمها في تقديره حالة عدم الاستقرار الاجتماعي، وتفاقم المشكلات الاقتصادية، ونشوء الصراعات السياسية الحادة أو العنف الداخلي، استفحاله وصولا إلى تفشي الاغتيالات، والتي قد تدفع الشعب لقبول حكومة قوية تعد باستعادة النظام وإنهاء الأزمة.

وقد لاحظ المحلل الجيوسياسي والمؤرخ الدكتور وبستر ترابيلي، أوجه التشابه المشبوهة بين الاضطرابات المصرية وانتفاضة صربيا المعروفة عام 2000 والتي دعمتها الولايات المتحدة الأميركية.

وتم تمويل أوتوبور في صربيا أو المعارضة بالملايين من قبل منظمات الديمقراطية

في الولايات المتحدة. وكان شعارها "قبضة اليد" في الإشارات واللوحات والقمصان للإطاحة بحكم سلوبودان ميلوسوفيتش في عام 2000.

ويقول "نفس الشعار تم استخدامه بعد 11 سنة عبر المحيط إلى شوارع القاهرة، فهل يمكن أن تكون هذه الشعارات مجرد مصادفة؟ هذا مناف للعقل ".

خلاصة القول، الثورات العربية ربما فاجأت الكثيرين لأن القناعة التي كانت سائدة هي أن الإنسان العربي فقد الإرادة كما القدرة على التغيير، ولأن العديد من الأنظمة التي غرقت في الفساد والاستبداد، ركنت إلى القناعة بأن قبضة أجهزتها الأمنية قادرة على منع أي تحرك للإطاحة بها.

لهذا بدا تأثير المفاجأة واضحًا على نظامي بن على ومبارك اللذين اضطربت ردود فعلهما لأنهما لم يكونا يصدقان ما يحدث، ولم يقدرا حجم الغضب الكامن تحت السطح، ولم يتوقعا ذلك السقوط السريع.

وقد استوعبت الأنظمة الأخرى حجم ما يحدث أمامها، حتى بدأت الثورات تواجه قمعًا أشد، وبالتالي تغرق في بحور من الدم وتأخذ وقتًا أطول في تحقيق التغيير، مثلما رأينا في ليبيا ثم في اليمن والآن في سوريا.

الربيع العربي كان زلزالًا سياسيًّا هز المنطقة، ولا يزال، ومحاولة فهمه وتحليل أسبابه ونتائجه لا يمكن أن تدور فقط حول نظرية المؤامرة الخارجية، وإنما يجب أيضًا ألا تتجاهل كل العوامل والتراكمات الداخلية، في الوقت الذي نرقب فيه الغرب وهو يحاول أن يستغل الفوضى وما يتبعها من دمار خلاق لركوب هذه الثورات وتطويعها أو تركيعها.

وهناك قائمة تتضمن المنظمات الأميركية التي تولي تصدير الديمقراطية والتي تقوم بإثارة القلاقل ضد النظم الحاكمة خارج الولايات المتحدة، وهناك أمثلة لمنظمات تعمل في دول أميركا الجنوبية وفي دول شرق آسيا.

ويمكن الإشارة إلى عدد من المنظمات الأهلية ومعامل الفكر وعدد من الوكالات

الحكومية وأسماء بعض النشطاء السياسيين الذين يمثلون جماعات غامضة مهمتها الدعاية السياسية الأميركية في الخارج مثل وكالة المخابرات الأميركية.

وتعد الوكالة الدولية للتنمية مستقلة عن الحكومة الأميركية فهي لا ترتبط رسميًّا بأي إدارة تنفيذية فيدرالية.

وقد أنشئت عام 1961 خلال حكم الرئيس كينيدي بعد صدور قانون المساعدة الخارجية والذي يفصل بين المساعدات العسكرية والمدنية.

وهذا القانون يختص بالسياسة الخارجية الأميركية وحماية الأمن الأميركي في الخارج ومساعدة الشعوب في العالم في جهودها من أجل التنمية الاقتصادية، وإقرار الأمن الداخلي والخارجي وتقديم المساعدات الإنسانية، أما مهمتها المعلنة فهي دعم الديمقراطية حول العالم.

وقد أنفقت ملايين الدولارات للتشجيع على الثورة على الأنظمة الحاكمة في عدة دول بأميركا اللاتينية.

وهناك الدور الذي لعبته التكنولوجيا في نجاح ثورات الشارع العربي، ويكفي أن نشير هنا لخبر نشر في صحيفة " الأهرام " المصرية يوم 18 فبراير 2011 بعد أسبوع من تخلي حسني مبارك عن الحكم، فقد أطلق زوجان من القاهرة اسم فيس بوك على مولودهما ليؤكد أهمية دور تكنولوجيا الاتصالات في نجاح ثورات الشارع ليس في مصر فقط بل في بقية الدول العربية.

لكن دور هذه التكنولوجيا في قلب الأنظمة الحاكمة ليس جديدًا في حركة "أوتوبور" والتي لعبت دورا أساسيًّا في الإطاحة بالرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش، وتعد الأولي في تاريخ استخدام هذه التكنولوجيا مثل التليفون المحمول والإنترنت في العمل الثوري.

وقد استفادت الثورات الأخري الملونة من تجربة ومساعدة أوتوبور واعترف نشطاء حركة بورا في أوكرانيا بأنهم استخدموا نفس الأساليب التي يتبعها النشطاء في حركة "أوتوبور" وقالوا بدون هذه التكنولوجيا لا يمكن أن ننجح أبدًا لقد أتاحت هذه

التكنولوجيا للثوار التواصل والتعرف على بعضهم وتبادل المعلومات بمنتهي السرعة، وتسهيل تعبئة أكبر عدد من الأفراد حول مشروع أو قضية.

وقد كان قطع الاتصالات عبر الإنترنت والتليفون المحمول بين 28 يناير وحتى 2 فبراير بواسطة سلطات الأمن المصرية دليلا آخر على أهمية هذه التكنولوجيا في تجميع وتعبئة الثوار.

كان تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وانتشارها بين جميع طبقات المجتمع خاصة في الدول النامية بمثابة ميلاد لوسائل وطرق جديدة للتواصل على قدر كبير من الفاعلية بين أفراد المجتمع. لكن جوجل ويوتيوب وفيس بوك وتويتر جري تطويرها بواسطة شركات أميركية مرتبطة بالإدارة الأميركية.

وقد طورت شركة أميركية مركزها الرئيسي في ماسشوستس برنامج (ت. زو. ر) الذي يسمح بالإبحار بحرية عبر الإنترنت ويتاح استخدامه مجانًا مثلا للشباب من المنشقين الإيرانيين. وتعلن صفحة استقبال موقع تور بوضوح إتاحة هذا البرنامج للنشطاء. وهذا الموقع مهمته ـ كما يعلن المتخصصون ـ تطوير وتحسين وتوزيع البرامج والوسائل مجانًا التي تدعو إلى حرية التعبير والارتباط بين المدنيين.

وقد أكدت ممثلة للشركة صانعة هذا البرنامج أن الهدف من(تور) هو السماح للأفراد التعبير عن آرائهم بطريقة آمنة ومشاركة المعلومات بين النشطاء في الدول ذات الأنظمة الشمولية. وهذه هي نفس الشركة التي ساعدت مستخدمي الفضاء الإلكتروني التونسيين والمصريين خلال الثورة للالتفاف حول الرقابة الحكومية.

وإذا كان السؤال هو: إذا كانت تور تقوم بتوزيع برامجها مجانًا حول العالم، فمن يقوم بتمويل هذه الشركة؟. فالإجابة هي أن موقع الشركة يعلم أنها تتلقي أموالًا من عدد من الشركاء في الشركة، لكنه لا يذكر من هو الشريك الرئيسي الذي يدفع بالملايين لتمويل أنشطة الشركة.

وكانت هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأميركية السابقة قد صرحت وبوضوح

في العاشر من يناير عام 2010 دعم برنامج ابتكر خلال إدارة بوش الذي يهدف إلى المساعدة المالية للشركات والمنظمات غير الحكومية التي تصنع برامج ضد الرقابة التي تفرضها الحكومات لمساندة المعارضين في الدول ذات الأنظمة الشمولية على احتواء الرقابة.

كما أعلنت كلينتون - فيما بعد - إنشاء خدمة متخصصة في الحكومة الأميركية وتخصيص 30 مليون دولار لنحو ستين منظمة تقوم بتطوير برامج ضد الرقابة.

ومنذ أن قطعت الحكومة المصرية الاتصالات بالإنترنت والتليفون المحمول خلال الأيام الأولى من ثورة 25 يناير، تعاونت جوجل مع تويتر في البحث عن حل يسمح لمستخدمي تكنولوجيا الاتصالات من الشباب المصريين التواصل وتبادل المعلومات، وقد وجد الحل في زمن قياسي سمحت هذه الخدمة لجميع الأفراد مجانًا للضغط على ثلاثة أرقام من أي تليفون متاح وترك رسالة.

وبعد قطع الاتصالات عبر الإنترنت في مصر، أعلن الرئيس الأميركي باراك أوباما أن الحكومة يجب أن تحترم حقوق المصريين وإعادة فتح قنوات التواصل الاجتماعي والإنترنت وطالبت هيلاري كلينتون السلطات المصرية بوضع حد للإجراءات التي لم يسبق لها مثيل لقطع الاتصالات.

وعندما قطعت الحكومة المصرية الاتصالات يوم الثلاثاء أول فبراير 2011 عبر الإنترنت، والتليفون المحمول، طوال أربعة أيام اتخذت الوسائل لمستخدمي الفضاء الإلكتروني لمواصلة التواصل، وقد مدت شبكة فرنش داتا خطًا تليفونيًا بسرعة.

وقامت تليكومكس وهي حركة سويدية للنشطاء الذين يستخدمون أجهزة الاتصال بمد خط تليفوني آخر كوسيلة تسمح للشباب بمواصلة الاتصال بالخارج، كما تعاونت جوجل مع تويتر في جهودهما لعمل برنامج (سبيك 2 تويت) لنفس الهدف.

وفي يوم الأربعاء الثاني من فبراير وقعت معركة الجمل مما أسفر عن مقتل وإصابة مئات الثوار بجروح بالغة.

ومن خلال موجات تليفزيون محطة فرانس 24 أعلن أحد النشطاء أنه من الواضح أن الحكومة وراء هذا الهجوم.

الثورات العربية لم تكن بعيدة أيضًا عن التدخلات المباشرة وغير المباشرة للمنظمات الأهلية الأميركية التي تعمل معظمها بتعليمات من الحكومة الأميركية ووكالة المخابرات المركزية.

لكن الشعوب التي قامت بالثورة في الشارع العربي كانت على قدر كبير من الشجاعة، كثير من المناضلين قدموا تضحيات كبيرة لوضع نهاية لنظم الحكم الاستبدادية المطلقة، ولكن هذه الثورات لم تكن تنجح بدون مساعدة ملحوظة ذات نكهة أميركية.

وفي مقال نشر في "واشنطن بوست" بقلم س. ج. هانلي، قدر الكاتب أنه منذ عام 2005، شارك أكثر من عشرة آلاف مصري في برامج حول الديمقراطية وإدارة الحكم تم تمويلها بواسطة الوكالة الأميركية للتنمية الدولية. وجري تنظيمها والإعداد لها من خلال المعهد القومي الديمقراطي للشئون الدولية والمعهد الجمهوري الدولي المرتبط بالحزب الجمهوري الذي يرأسه السيناتور جون ماكين.

كل المعلومات وكل هذه الشكوك التي تضمنها الكتاب أو هذه الدراسة حول الثورة المصرية والثورات العربية، لا تعني على الاطلاق أن أصابع أميركية كانت تلعب وتحرك هذه الثورات.

وبالنسبة لثورة 25 يناير المصرية، فالمعلومات والأخبار التي خرجت من واشنطن بعد قيام الثورة، أكدت أن الولايات المتحدة وحلفاءها فاجأتهم هذه الثورة، وقد تردد أوباما في مساندتها في البداية حتي تأكد نجاحها، كما أن إسرائيل التي تتحدث بلسان واشنطن صدمت بأخبار الثورة وسقوط مبارك الحليف لواشنطن وتل أبيب.

ويمكن القول إنه بعد عقد من الزمان على انتهاء الحرب الباردة، وبفعل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، شهدت البلدان العربية والإسلامية خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين أحداثًا ساخنة بدأت ولم تنتهِ وارتفعت لافتات الحرب على الإرهاب، ونزع أسلحة الدمار الشامل، والدفاع عن حقوق الإنسان، وحرية التعبير، والمشاركة السياسية، وحق تقرير المصير.. إلخ، فاشتعلت نيران الحروب الاستباقية،

ودوى قرع طبولها والتلويح بتوسيع دائرتها هنا وهناك، فتغيرت أنظمة، وعدلت دساتير وقوانين عدة، وبرزت الانقسامات السياسية، والطائفية، والمناطقية، والمذهبية.

وعليها تبلورت مشاريع التفتيت والتجزئة داخل الوطن الواحد، ومنها ما بدأ يتجسد على الواقع العربي تحت إشراف المجتمع الدولي، وذهول الأنظمة التي يراد لها - بأي شكل من الأشكال - أن تكون جزءاً من نظام دولي جديد، تتعولم فيه السياسات، والحضارات، والمعتقدات.. فكيف يمكننا فهم ما حدث ولايزال يحدث؟

وقد ربط الكثيرون من الساسة والسياسيين تلك التطورات بنظرية الفوضى الخلاقة أو (البناءة) التي تبنتها الولايات المتحدة الأميركية كإستراتيجية شرعت بتجريبها في أقطار العرب والمسلمين، لتبدو اليوم أكثر إصرارًا على الاستمرار بتنفيذها، بدافع أن تلك الفوضى البناءة وما تجلبه من "دمار خلاق" كما استهدف صانعوها قد بدأت تؤتي ثمارها.

وتعتمد نظرية الفوضى الخلاقة أو التدمير الخلاق في الأساس على ما أسماه الأميركي صموئيل هنتنجتون بـ " فجوة الاستقرار" وهي الفجوة التي يشعر بها المواطن بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فتنعكس بضيقها أو اتساعها على الاستقرار بشكل أو بآخر. فاتساعها يولّد إحباطاً ونقمة في أوساط المجتمع، مما يعمل على زعزعة الاستقرار السياسي، لا سيما إذا ما انعدمت الحرية الاجتماعية والاقتصادية، وافتقدت مؤسسات النظام القابلية والقدرة على التكييف الإيجابي، ذلك أن مشاعر الاحتقان قد تتحول في أي لحظة إلى مطالب ليست سهلة للوهلة الأولى، وأحياناً غير متوقعة، ما يفرض على مؤسسات النظام ضرورة التكيف من خلال الإصلاح السياسي، وتوسيع المشاركة السياسية، واستيعاب تلك المطالب.

أما إذا كانت تلك المؤسسات محكومة بالنظرة الأحادية، فإنه سيكون من الصعب الاستجابة لأي مطالب، إلا بالمزيد من الفوضى التي يرى هنتنجتون أنها ستقود في نهاية الأمر، إلى استبدال قواعد اللعبة واللاعبين.

وربما يكون تسليط الضوء على ثورة تونس مهمًّا لكي نتبين حجم ومدلولات ما جرى وتم في إحدى دول الربيع العربي.

فقد عاشت تونس يوم الجمعة الرابع عشر من يناير عام 2011 يوماً تاريخياً.

وقبل غياب شمس هذا اليوم كان نجم زين العابدين بن على يغرب، تاركاً خلفه بلاداً تحترق وانتفاضة شعبية، هرب بعدها عن طريق المطار متوجهاً إلى الخارج.

رحل بن على تحت وطأة الضغط الشعبي الكثيف، ترجمة لمقولة الشاعر التونسي الراحل أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة.. فلا بد أن يستجيب القدر

لم يكن أحدٌ يتصور أن الجنرال بن علي، الذي حكم تونس بيد من حديد منذ سنة 1987، سيهرب بهذه الطريقة المهينة.

وقد شهدت الساعات الأخيرة التي سبقت هروب بن على علائم على أن انهيار نظام بن على بات وشيكاً.

وتوقف المراقبون عند خوف بن على من الجيش وعدم مغادرته قصر قرطاج قبل أكثر من أسبوع على السقوط، حتى لإلقاء كلمة أمام البرلمان كما كان مقرَّراً، ولا سيما بعدما أقال قائد الجيش الجنرال رشيد عمار، الذي رفض إطلاق النار على المتظاهرين، واكتفى بحراسة المرافق الحكومية.

بن على لم يتوجّه إلى البرلمان، واكتفى بتوجيه كلمة متلفزة من القصر الرئاسي.. من رَأى عليًّا مساءً وهو يخاطب الشعب التونسي، كان يشاهد رئيساً في نهاية عهده مرتبكاً ومتصالحاً ومتوسلاً، على غير عادته، وكأن لسان حاله يقول: لا تلفظوني.. أراد أن يقلد الجنرال ديجول، وهو يقول للفرنسيين " فهمتكم " قبل أن يغادر قصر الإليزيه.

لم يفعل خطاب بن على مفعوله، ولم ينجح في تهدئة الشارع، بل التقط المتظاهرون منه رسالة واحدة، هي أن الجنرال فقد زمام الأمور، ولم يعد قادراً على احتواء الموقف، وأنه بدأ الدخول في مسلسل تنازلات يقوده بسرعة شديدة نحو النهاية، الأمر الذي ترجم

نفسه، قبل فراره، بقرار إقالة الحكومة والدعوة إلى انتخابات تشريعية خلال ستة أشهر، وإعلان حالة الطوارئ.

لقد حاول الجنرال بن على أن يبدو خلال الخطاب، كعادة الجنرالات الذين يُدركون أن نهايتهم قريبة، سلساً وآدميّاً وإنسانيّاً: حزن على حاضر تونس، وطالب الجميع (جميع أبناء تونس) بخدمتها وبنائها، كما أنه حزن على الدماء التي أريقت، كأنه غير مسؤول عنها.. وطالب بلجنة تحقيق مستقلّة.. واكتشف سيره على خطى الرئيس الراحل بورقيبة ومطالبته بأن يكون رئيسًا مدى الحياة لن يكون مقبولًا لدى الشعب التونسي، فقرر أن يتخلى عن هذا المطلب طالباً، بما يشبه التوسل والتسول معاً، أن يتركه الشعب رئيساً عليه إلى سنة 2014.

من كان يقرأ خطاب الرئيس التونسي، من دون أن يعرف أوضاع تونس بحق، يمكن أن يصدّق الرئيس ويتفاءل خيراً لكن الأمر لم يكن كذلك.

فهذه الوعود هي نفسها التي أطلقها سنة 1987 حين انقلب على سيّده بورقيبة.. نفس الوعود، لم تتغير ولم تتقادم بمرور الزمن، لكن الرئيس هو الذي تغير، وهو الذي تقادم به الزمن، على عكس الشعب التونسي، الذي شب عن الطوق، وأصبح فتيّاً عتيّاً ولم يعد تنطلي عليه اللعبة.

وهكذا وقبل السقوط أعلنها بن على " فهمتكم.. فهمتكم "عبارة رددها الرئيس التونسي زين العابدين بن على في خطابه يوم الخميس 13 يناير 2011 الذي ألقاه عشية تصاعد حدة الاحتجاجات الشعبية وتزايد عمليات التخريب والانفلات الأمني "فهمتكم" عبارة كان يفترض أن يرددها عشية توليه مقاليد السلطة.

" فهمتكم " تعني إدراك حاجات الشعب الملحة مثل التعددية السياسية الحقيقية لا الصورية، حرية التعبير والصحافة، التداول السلمي على السلطة، حق الحصول على فرصة عمل، العيش الكريم، احترام حقوق الإنسان، حرية التظاهر وكل ما له علاقة بالفعل السياسي، حاجات لا مفر منها للشعب التونسي.

" فهمتكم ".. تجسد إدراكاً ولكن تأخر 23 سنة، وكان من المفترض أن تكون شعارًا قوميًا، بعدما تحول العالم إلى قرية صغيرة، فطيلة الأحداث التي عاشتها مختلف المدن التونسية كانت مسيرات " التوانسة" وكأنها تجوب شوارع مدن العالم في نشرات الأخبار وعلى صفحات الفيسبوك والتويتر والمدونات واليوتيوب وغيرها من الوسائط الإلكترونية.

عبارة " فهمتكم " كانت المحطة الأخيرة من عمر نظام يرفض الانفتاح على الرأي والرأي الآخر، وأقرب إلى محاولة لتفادي السقوط منها إلى وعود وقرارات سياسية.

ولأنه وفي تاريخ البشرية والثورات الشعبية برمتها ليس هناك من يوقف زحف الأمواج البشرية عندما تخرج ثائرة على الظلم والتجاوزات والقهر والفساد، فإن مشهد المواطنين والشباب التونسي اليوم وبعد فوات الأوان لا يمكن أن يتوقف عند حدود وعود تحت ظرف طارئ.

لقد بدا أن عزم الناس هناك معقود على تغيير جذري، وهي رسالة مفهومة لكنها مخالفة لمفاهيم الرئيس التونسي زين العابدين بن على الذي حكم تونس أزيد من عقدين بالحديد والنار.

تونس عرفت القهر وتكميم الأفواه ومطاردة دعاة حقوق الإنسان، وإغلاق مجالات التعبير الحر في الصحافة وعلى الإنترنت ورفض التعددية النقابية وكل صوت مخالف لصوت بن علي، لذلك يبدو المشهد التونسي تحصيل حاصل لسنوات ذاق فيها الكتاب والشعراء والأدباء والصحفيون وكل الأحرار شتى أنواع الظلم، لدرجة أن تونس ارتبطت في أذهان الرأي العام المغاربي والعربي بقهر البوليس وسلطة الديكتاتورية التي عميت أبصارها عن رؤية الحقائق المجردة على أرض الواقع.

لذلك فإن عبارة " فهمتكم " بحاجة إلى المزيد من الفهم العميق لرسالة الشعوب التي تثور على الطريقة التونسية.

فلم يكد بن على ينهي خطابه حتى امتلأت شوارع تونس بالمتظاهرين من جديد،

وواصلت ميليشيات النظام استخدام الرصاص الحي فكانت حصيلة الليل المزيد من القتلى، وكانت المفاجأة في العاصمة التي سقط فيها منع التجول وخرج الناس في تظاهرات امتدّت حتى الصباح، وتواصلت في الضواحي القريبة من القصر الجمهوري وأمام وزارة الداخلية، وكان الهتاف الرئيسي هو المطالبة برحيل بن علي، والإفراج عن جميع المعتقلين.

تظاهرات الليل توجّهت نحو قصر قرطاج من ناحيتي حلق الواد والمرسى، وتصدّى لها الحرس الرئاسي.

وبقي المتظاهرون في الشوارع ولم ينسحبوا، بل قامت مجموعات بمداهمة منازل عائلة السيدة الأولى ليلى طرابلسي في ضاحية قمرت.

وعند السادسة مساء الجمعة طوت تونس صفحة زين العابدين بن علي بإقلاع طائرته دون عودة من مطار قرطاج وترك الرئيس السابق لرئيس وزرائه محمد الغنوشي أن يتولى رئاسة مؤقتة تم التشكيك على الفور في دستوريتها.

كما ترك بن علي تونس أيضًا في عهدة حال الطوارئ التي يستلم الجيش فيها عادة المسؤوليات الفعلية في البلاد.

وكان سيناريو إصعاد الرئيس إلى رحلة إلى المنفى قد نضج في الساعات الأخيرة، وتسارع تطبيقه في ساعات الظهيرة عندما سقط ما لايقل عن ستة عشر قتيلًا في العاصمة تونس.

تسارعت التطورات ولم يكن قد جف بعد حبر التعليمات التي قال بن علي قبل إنه قد أصدرها بالكف عن إطلاق الرصاص الحي على المحتجين، خلال الخطاب الذي أدلى به ووعد فيه أيضًا بتفعيل التعددية وإحياء الديمقراطية والاستجابة لمعظم المطالب المرفوعة.

لقد أطاح سفك الدماء في قلب العاصمة تونس بالفرصة الأخيرة لاستعادة الثقة بالوعود الرئاسية، إذ سقط العدد الأكبر من الضحايا خلال معركة دامية دارت قرب

مقر وزارة الداخلية، ولجأت خلالها القوى الأمنية فجأة إلى القنابل المسيلة للدموع لتفريق ومطاردة تظاهرة بدأت سلمية عند الصباح. وتدهورت الأمور أكثر لتصل إلى إطلاق الرصاص على بعض المحتجين.

ومن المؤكد أن بعض منازل العائلة الحاكمة قد تعرض إلى الهجوم وعمليات تدمير جزئي من قبل المتظاهرين. وقام الجيش ليلًا بإقفال المجال الجوي للبلاد وسد الطرق المؤدية إلى مطار العاصمة.

لقد خاض بن على معركته الأخيرة للبقاء في السلطة في مواجهة دامية أمام مقر وزارة الداخلية في جادة الحبيب بورقيبة. وكان مجرد وصول وتجمع الحشود أمام مقر الوزارة حدثًا تاريخيًا ورمزيًا قويًا، نظرًا لتاريخ المقر في استقبال العشرات من المعارضين السياسيين. خسر الرئيس رهانه على القوى الأمنية والشرطة بأن تستعيد زمام الأمور في العاصمة.

وتحول ما كان صباحًا تظاهرة سلمية إلى مواجهات دامية عندما قامت الشرطة بمهاجمة جموع بالآلاف قادها محامون ومعلمون ونقابيون من الصفوف المتواضعة، واستخدموا فيها القنابل المسيلة للدموع لتفريقهم. كما جرت مطاردات في الأزقة القريبة من جادة بورقيبة، وسقط فيها عشرات القتلى والجرحى.

وتوجت المعركة أمام الوزارة قناعة الجيش وأوساط في التجمع الدستوري بأن العنف واللجوء المفرط إلى القوة، وغياب أي أفق سياسي سيجر البلاد إلى مذبحة دامية، وخصوصًا أن جميع التنازلات التي تم تقديمها لم تؤد إلى تهدئة مزاج التونسيين الملتهب.

نضج سيناريو رحلة المنفى في الساعات الأخيرة، وتسارع التطبيق مع سقوط قتلى في تونس.

وشكلت دعوة الاتحاد العام للشغل إلى التظاهر في قلب العاصمة إنذارًا إضافيًا بخطر توسع الاحتجاجات، وذلك رغم بقاء قيادته على الحياد منذ بدء المواجهات، وهي لم تستطع التغاضي عن ضغط قواعدها التي تشارك منذ البداية في تأطير التظاهرات.

لكن تواصل الاحتجاجات لم يكشف عن تهالك دعائم النظام الأمني التونسي فحسب بعد شهر تقريبًا من قدح محمد البوعزيزي شرارة انتحاره الاحتجاجي، بل كشف عن هشاشة التمثيل السياسي للقوى السياسية المعارضة.

وقبل أسبوع من سقوط بن على لم يكن يمر يوم من دون إشارة إلى تهاوي النظام، وتحوّلت تراجعاته المرتبكة إلى ما يشبه كرة الثلج التي ظلّت تكبر يوميّاً تراجعات غير مدروسة، تظهر النظام خائفاً وفاقداً للأعصاب، وغير قادر على إدارة المعركة مع الشارع.

ومن بين الإشارات البارزة إلى تسارع سقوط النظام حصول عملية نقل أموال عامة وخاصة للخارج، فقد أفادت مصادر توتسية في باريس بأن الحكم والأوساط القريبة منه شرعت في إجراء تحويلات مالية كبيرة نحو الخارج.

الانتفاضة التونسية دفعت الولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية إلى إجلاء رعاياها وسيّاحها من تونس، ورحّلت ألمانيا وبريطانيا آلافاً من السياح كانوا يقضون إجازات في منطقتي الحمامات وسوسة، بعدما تعرضت عدة مجمعات سياحية للحرق في المدينتين.

رد الفعل الدولي هو الذي بقي مثيراً للاستغراب، فالولايات المتحدة وفرنسا، الصديقتان القريبتان من النظام، اكتفتا بإبداء القلق على الاستخدام المفرط للقوة.. ولم تتمكنا من مواكبة الشارع التونسي، الذي كانت له الكلمة الأولى والأخيرة، ليسجل مأثرة لم يعرفها العالم العربي من قبل، إلا أن الولايات المتحدة تداركت الموقف جزئيّاً، وقال البيت الأبيض في بيان له بعد هروب بن على إن للشعب التونسي الحق في اختيار زعمائه.

لقد بدأت تونس عهدًا جديدًا في تاريخها، وطوت صفحات ٢٣ عامًا من حكم الديكتاتور زين العابدين بن على، إثر هروبه من البلاد تحت ضغط ثورة الاحتجاجات الشعبية العارمة، وتولى الجيش وجمعيات أهلية مسؤولية حماية المواطنين الذين عاشوا

ليلة رعب، بسبب انتشار أعمال السلب والنهب والتخريب والفوضى، وأعلن الجيش اعتقال المئات من قوات الشرطة البارزين في البلاد.

وحسم المجلس الدستوري التونسي الجدل حول قانونية تولي الوزير الأول المنتهية ولايته محمد الغنوشي منصب الرئاسة خلفًا لبن علي، وعين رئيس مجلس النواب محمد فؤاد المبزع رئيسًا مؤقتًا بالإنابة على أن تجرى الانتخابات الرئاسية خلال ٦٠ يومًا.

وأدى، المبزع اليمين الدستورية، وأكد أن مصلحة الوطن العليا تتضمن تشكيل حكومة وطنية، مطالبًا الوزير الأول المنتهية ولايته محمد الغنوشي باقتراحها، بينما أعلن الغنوشي الذي تولى الرئاسة لمدة ليلة واحدة أنه يسعى إلى تشكيل حكومة إنقاذ وطني تشارك فيها قيادات المعارضة بما فيها حركة النهضة الإسلامية.

ورغم حالة الطوارئ العامة وفرض حظر التجول ليلًا على أنحاء البلاد، عاش التونسيون ليلة رعب، مع تفشي عمليات التخريب والنهب، التي قامت بها عصابات مسلحة في العاصمة والقيروان وقفصة، وأشيع أن تلك العصابات من أنصار الحزب الحاكم السابق، أو من قيادات الأمن التي اعتقل الجيش المئات منها بتهمة المشاركة في أعمال السطو والتخريب.

وهكذا انتهت رحلة الرئيس بن علي الذي خلعته ثورة بهروبه للخارج بلا رجعة.

الخلاصة إنه لا يمكن استبعاد المؤامرة مما حدث من ثورات شرقًا وغربًا ولكن العبرة بالنتائج ومدى تمكن الشعوب من استلهام الثورة حتى ولو بنظريات غربية مع تصحيح المسار بما يتوافق مع مصلحة الشعوب كما حدث بمصر في 30 يونيو.

ثورات الربيع العربي التي لم تخلُ منها أصابع شارب ومؤامرته بالتعاون مع المخابرات الأميركية لتنفيذ ثوراته المخطط لها تحت عباءة نشر الديمقراطية.

الفصل السابع

نظريات شارب في الميزان

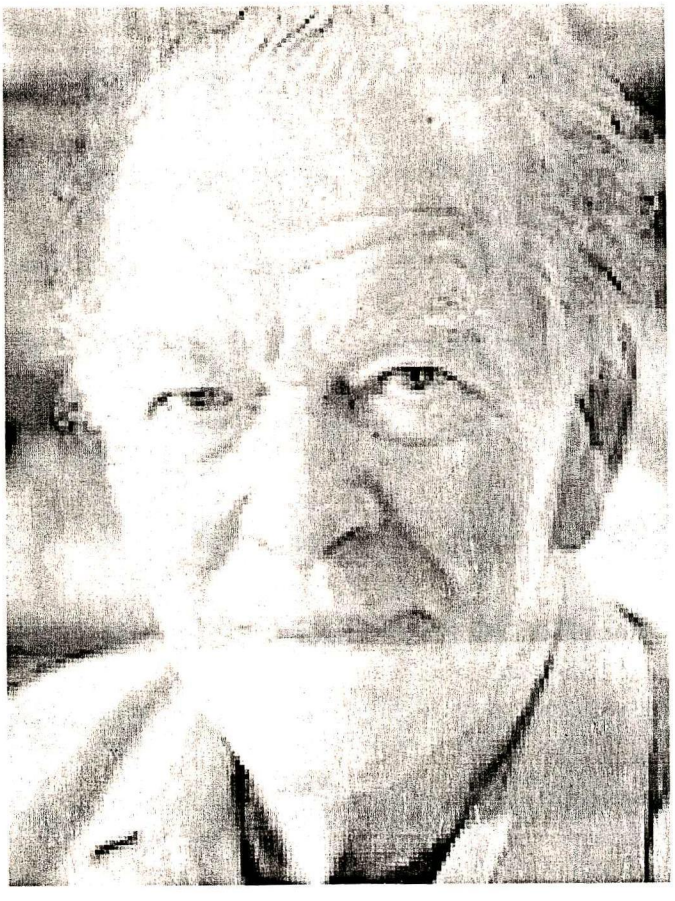

بين الأعوام 1900 إلى 2006، أثبتت حركات المقاومة السلمية الكبرى التي سعت للإطاحة بالديكتاتوريات، أو طرد الاحتلال الأجنبي، أو الحصول على حق تقرير المصير، أثبتت أنها كانت أكثر فعالية ونجاحاً بمرتين من حركات التمرد المسلحة التي سعت لتحقيق الأهداف ذاتها.

وحتى قبل الربيع العربي، نجحت حملات المقاومة اللا عنفية في صربيا (عام 2000)، ومدغشقر (2002)، وأوكرانيا (2004)، ولبنان (2005) ونيبال (2006) في الإطاحة بالأنظمة التي كانت تحكمها وتمكنت من إزالتها من السلطة.

ويعود ذلك إلى أن الحملات اللا عنفية غالباً ما يلتزم بها جمهور أوسع بكثير وأكثر تنوعاً من الفئة التي قد تلجأ إلى خيار التمرد المسلح. ذلك لسبب بسيط: وهو أن التضحيات التي يفرضها العمل السلمي سقفها أقل بكثير: في البداية يتوجب على المنضمين الجدد للمقاومة اللا عنفية التغلب على خوفهم، ولكنهم لن يكونوا مضطرين أبداً للتخلي عن قناعاتهم الأخلاقية واستخدام العنف ضد الآخرين. المقاومة المدنية تقدم مجموعة متنوعة من التكتيكات التي تتسم بتدني خطورتها -على سبيل المثال يمكن العمل بتكتيك "البقاء بعيداً" (حيث يبتعد الناس عن المناطق المأهولة عادة بالسكان)، أو المقاطعة، أو العمل والتحرك ببطء (حيث يتحرك الناس بوتيرة بطيئة في العمل وفي الشوارع)- وهذه التكتيكات تشجع الناس على المشاركة دون أن تفرض عليهم تقديم تضحيات شخصية كبيرة.

لقد شهدت الانتفاضة السلمية التي حدثت في مصر تعبئة الرجال والنساء والأطفال والمسنين والطلاب والعمال والإسلاميين والمسيحيين، الأغنياء والفقراء على حد سواء،

وهذه الدرجة من التعبئة لم تستطع بلوغها أي من التنظيمات المسلحة في التاريخ المصري المعاصر.

وعندما يسمع البعض مصطلح "لاعنف"، فإنهم غالباً ما يعتقدون بأن ذلك يشير إلى المقاومة "السلمية" أو "السلبية". هذه الكلمة قد تذكر البعض بجماعات السلام، أو بالأفراد المسالمين مثل الرهبان البوذيين في بورما، والذين يفضل بعضهم الموت على استخدام العنف للدفاع عن أنفسهم ضد الظلم. وهنا يحدث الخلط بين مصطلح "المقاومة اللا عنفية" و"المقاومة المدنية"، وبين مذهب "اللا عنف" أو "السلمية"، فالأخير يعبر عن موقف فلسفي يرفض معتنقوه استخدام العنف لأسباب أخلاقية بحتة. أما في حملات المقاومة المدنية، كتلك التي نشهدها اليوم في الربيع العربي، فإن عدداً قليلاً جدّاً من المشاركين فيها هم من دعاة السلام.

هؤلاء على العكس مجرد مدنيين عاديين قرروا مواجهة أوضاع لا تحتمل بعصيان الأوامر ورفض الطاعة- وهذه الطريقة متاحة لأي شخص سواء كان مناضلاً لاعنفيّاً أم لا. وحتى المهاتما غاندي، اللا عنفي الشهير، فقد كان هو نفسه مفكراً إستراتيجيًّا لأبعد الحدود.

لقد أدرك غاندي بأن اللا عنف ينجح ليس من خلال الالتزام بمبادئ أخلاقية رفيعة، وإنما بإطلاق حملة عصيان مدني شاملة تملك القدرة على إنهاء الاحتلال البريطاني للهند. يقول غاندي في هذا السياق: "يتعين علينا مواجهة سوء المعاملة بالصبر والتحمل".

إن الطبيعة البشرية على درجة كبيرة من التعقيد بحيث إننا إذا ترفعنا بشكل كامل عن كل مشاعر الغضب والإساءة، فإن الشخص الذي يتمتع بممارسة هذه الأعمال سيصيبه الضجر وسيتوقف في النهاية".

ولقد ظهرت حركات اللا عنف ونجحت في مختلف أنحاء العالم دون تمييز. في الواقع، يستطيع الشرق الأوسط (والذي لطالما اعتبره الكثيرون في أماكن أخرى من العالم حالة ميؤوسًا منها ومرجلًا متواصلًا من النزاعات والعنف) أن يتباهى ببعض

أفضل النجاحات في هذا السياق، وذلك حتى قبل بزوغ شمس الربيع العربي.

وكانت الثورة الإيرانية التي أطاحت بنظام الديكتاتور الشاه محمد رضا بهلوي، وجلبت مكانه إلى السلطة آية الله روح الله الخميني، كانت حركةً شعبية سلمية شارك فيها أكثر من مليوني إيراني (ومن المفيد التذكير هنا بأن الانتفاضات السلمية، شأنها شأن الانتفاضات المسلحة، لا تتمخض دائماً عن النتائج المرجوة منها). فضلاً عن ذلك، حقق الفلسطينيون أفضل تقدم لهم تجاه حق تقرير المصير وتحقيق سلام دائم مع إسرائيل عندما اعتمدوا مبدأ العصيان المدني السلمي الشامل ضد دولة إسرائيل، فأثبتوا نجاعة المظاهرات والإضرابات وحملات المقاطعة والاحتجاجات التي سادت الانتفاضة الأولى بين الأعوام 1987-1992. أجبرت هذه الحملة إسرائيل على إجراء محادثات مع القادة الفلسطينيين وأدت في النهاية إلى انعقاد اتفاقيات أوسلو، وأسهمت في اقتناع الكثيرين في مختلف أنحاء العالم بأن الفلسطينيين يملكون الحق في الحكم الذاتي.

وفي الأميركيتين، شهدت دول فنزويلا، تشيلي، الأرجنتين، والبرازيل انتفاضات سلمية أطاحت بعدد من القيادات العسكرية التي كانت تدير زمام الحكم فيها، وفي بعض الحالات نجحت في استبدالها بقادة تم انتخابهم ديمقراطيًّا.

وفي مكان آخر من العالم، نجحت الحركة اللا عنفية المناهضة للفصل العنصري في جنوب إفريقيا في إحداث تغيير جذري شامل في المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك البلد، في وقت فشلت فيه النزاعات المسلحة التي قادها المؤتمر الوطني الإفريقي في إنجاز أي شيء يذكر.

أوربا، بطبيعة الحال، يمكنها تقديم بعض أهم الأمثلة وأكثرها شهرة في العمل اللا عنفي بدءاً من ثورات عام 1989 في أوربا الشرقية.

ولا شك بأن وجود الأسس الأخلاقية مسألة هامة، ولكنها بالكاد تعتبر كافية. يجب أن تكون الحملات مربكة قدر الإمكان - حتى من الناحية الإستراتيجية- لإجبار الحكام المستبدين على التخلي عن مناصبهم. نضال اللا عنف لن يبلغ غايته بالضرورة

بإقناع الخصم أو تغيير أفكاره، بل فقط عندما تنجح في تشجيع المصادر الأساسية للقوة التي يملكها النظام (كالبيروقراطيين المدنيين، والنخب الاقتصادية، والأهم من ذلك قوات الأمن) على رفض طاعة أوامره.

لقد صاغ المفكر والأديب روبرت إنتشوستي ذلك بشكل أفضل عندما قال: "اللا عنف هو بمثابة رهان، ليس على مكنونات البشر من خير، بقدر ما هو الرهان على تعقيداتهم المطلقة". وكما في حالة الحرب، فإن أساس نجاح أي حملة لاعنفية إنما يكمن في اكتشاف نقاط ضعف الخصم واستغلالها.

انظر إلى ثورة يناير التي شهدتها مصر. لقد لجأت قوات الأمن المصرية للقوة المفرطة لقمع الاحتجاجات في الأيام الأولى للانتفاضة، بيد أن المتظاهرين المصريين كانوا مستعدين لذلك: تداول النشطاء -بإلهام من ثورات سلمية شهدتها سابقاً أماكن أخرى في العالم- مجموعة من التعليمات الدقيقة فيما بينهم ونشروها بين المتظاهرين لتوعيتهم حول كيفية الرد على هذا القمع، وبدأ انتشار النساء والأطفال والمسنين في الخطوط الأمامية في مواجهة قوات الأمن. شجعت هذه التعليمات أيضاً المتظاهرين على الترحيب بالجنود في صفوف الحركة، ونهتهم بشدة عن مجابهة رجال الأمن بأي نوع من أعمال عنف، فيما بذل قادة الحركة كل جهدهم لتصوير وتسجيل الممارسات القمعية ضد المتظاهرين السلميين ومن ثم نشرها.

وهناك مقولة خاطئة تقول إن فقط الأنظمة الضعيفة أو ذات الإرادة الضعيفة تسقط أمام الثورات اللا عنفية. فقد أثبتت العديد من الحملات السلمية نجاحها ضد بعضٍ من أعتى وأقسى الأنظمة الديكتاتورية على وجه البسيطة، حتى عندما كانت هذه الأنظمة في أوج قوتها.

في الواقع، كانت الغالبية العظمى من الثورات السلمية الكبرى التي شهدها القرن العشرون تواجه أنظمة عتيدة عرفت بقوتها مثل نظام الجنرال محمد ضياء الحق في باكستان، وسلوبودان ميلوسوفيتش في صربيا، وأوغستو بينوشيه في تشيلي، وسوهارتو

في إندونيسيا، فضلاً عن العديد من الحكام الإمبرياليين الذين استثمروا مصادرهم بشكل واضح في تعزيز سلطتهم على مستعمراتهم. حتى النازيون أظهروا ضعفاً نسبياً في مواجهة الاحتجاجات السلمية، ومثال ذلك كانت مظاهرة "روزنتراسيه" الشهيرة في برلين عام 1943، عندما نظمت مجموعة من النساء الألمانيات احتجاجات سلمية واجهن خلالها مدافع النازيين الرشاشة للمطالبة بالإفراج عن أزواجهن - لقد حققت هؤلاء النسوة انتصاراً صغيراً ضد أحد أكثر الأنظمة التي عرفها التاريخ إبادة وقمعاً، نصرٌ ما كان لأحد أن يحلم به لو فكر باستخدام السلاح.

وهنا يجدر القول بأن معظم حملات اللا عنف في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين واجهت قمعاً عنيفاً وواسع النطاق.

فعلى سبيل المثال لجأ النظام التشيلي تحت زعامة الديكتاتور بينوشيه إلى أساليب التعذيب المفرط والإخفاء القسري في محاولة منه لإرهاب المعارضة السياسية. في مثل هذه الظروف، بدا الانخراط في احتجاجات شعبية مفتوحة عملاً خطيراً للغاية بالنسبة لمعارضي الحكومة، إلى أن حل العام 1983، حين أطلق المدنيون إشارة استيائهم الأولى حين بدؤوا حملة منسقة لإصدار ضجيج مزعج بطرق الأواني والمقالي - وهو ما يعد عملاً بسيطاً للغاية كان الهدف منه إظهار التأييد الواسع النطاق لمطالب المواطنين، وكشف ضعف قدرة بينوشيه على قمع الحركة بالأدوات التي كان يملكها. خرج الناس إلى الشوارع تصدح حناجرهم بأغانٍ كانت تتحدث عن الزوال الوشيك لـ بينوشيه - وهي ممارسة أغضبت الديكتاتور بشدة لدرجة أنه حظر الغناء في ذلك العام، بيد أن ردة فعله اليائسة تلك كانت دليلاً واضحاً على ضعفه وليس قوته.

في النهاية، رضخ بينوشيه للضغط الشعبي، ووافق في عام 1988 على إجراء استفتاء شعبي حول إمكانية بقائه في الحكم لثماني سنوات إضافية. وهنا استغل زعماء المعارضة الفرصة لتنظيم حملات لاعنفية مباشرة ركزت على التصويت بـ "لا" في الانتخابات والحصول على أغلبية الأصوات والسعي للتحقق من نتائج التصويت بشكل مستقل، وفي النهاية محاسبة بينوشيه على ممارساته.

وعندما بدا للجميع أن بينوشيه أوشك على الخسارة، اضطر الجيش في النهاية للانحياز إلى صف الشعب التشيلي ما أدى أخيراً إلى تنحي الديكتاتور عن الحكم.

الحركات السلمية الناجحة تعتمد على الجمع بين تكتيكات مختلفة كالمظاهرات والاحتجاجات التي تخرج بالتزامن مع الإضرابات، وحملات المقاطعة، وتكتيكات "التحرك البطيء"، و"البقاء بعيداً"، وغيرها من النشاطات التي تجبر النظام على تجزئة آلة قمعه بطريقة تجعل من العسير عليه المواصلة. فخلال الثورة الإيرانية مثلاً، بدأ عمال النفط إضراباً مفتوحاً هدد بشل الاقتصاد الإيراني، فردت قوات الأمن التابعة للشاه بالذهاب إلى ديارهم وجرتهم عنوة للعمل في مصافي النفط- وما كان من العمال إلا أن بدؤوا العمل بوتيرة بطيئة وبنصف طاقتهم الاعتيادية، وواصلوا القيام بذلك حتى جاء موعد الإضراب التالي وهكذا. إن حجم آلة القمع التي يحتاجها النظام لإكراه الجماهير كلها على العمل خلافاً لإرادتها يفوق قدرته تماماً، وهو يتطلب درجة مهولة من التنسيق بين الموارد التي يملكها والجهود التي يسعه توظيفها.

في الواقع، ما تعلمناه من التجارب السابقة كالتجربة الإيرانية هو أن أسلوب القمع المفرط والانتقامي الذي استخدمه القذافي لقمع التظاهرات السلمية في مستهل الثورة الليبية، نادراً ما ينجح ضد حركات لاعنف تعمل بشكل منسق ومخطط له بشكل جيد. من جانب آخر فإن لجوء المتظاهرين إلى العمل المسلح أثار رد فعل عنيف جداً من قبل القذافي، وأسهم في الوقت ذاته في تخوف شريحة كبيرة من الناس ربما كانت على استعداد للانخراط في صفوف المعارضة السلمية والمشاركة في المظاهرات، وهذه الشريحة لم تكن لترغب في الانخراط في نزاع مسلح ظهرت فظاعته منذ اللحظة الأولى. إن أكبر المكاسب التي حققتها المعارضة الليبية قبل أن يعرض حلف شمال الأطلسي تقديم دعمه، كانت خلال المرحلة السلمية للانتفاضة، حيث نجحت المظاهرات الأولى في إغلاق البلاد وأثارت العديد من الانشقاقات بين صفوف الموالين للنظام من كبار المسؤولين، حتى إنها نجحت في ضم مدينة بنغازي دون إراقة تذكر للدماء. ولكن بمجرد لجوء المتظاهرين

إلى حمل السلاح للرد على هجوم القذافي، أصبحوا مباشرة بحاجة لتدخل حلف شمال الأطلسي حتى تكون لديهم أدنى فرصة للفوز.

وهكذا فإن المقاومة اللا عنفية هي في الواقع شكل من أشكال الحرب غير المتكافئة، يعتمد الطغاة فيها، وبشكل متوقع تماماً، على أفضلية القوة الغاشمة التي يمتلكونها وحدهم ويوظفونها في قمع المعارضين. لذلك تحديداً يكون من الأفضل محاربة العدو بالوسائل التي تملك الأفضلية فيها (في هذه الحالة: قوة الشعب، عدم السماح له بالتنبؤ بالحركات القادمة، التكيف، والإبداع) بدلاً من الوسائل التي يملك هو الأفضلية فيها.

وهناك ارتباط قوي بين حركات اللا عنف وبين تحقيق الديمقراطية، فهذه الحركات تتطلب مستوًى أعلى من المشاركة السياسية وتتطلب انخراط المجتمع المدني (وهي العوامل ذاتها التي تسهم في ترسيخ أهداف الانتفاضة السلمية على المدى الطويل) وبالتالي تسهم في تعزيز الديمقراطية. ولكن ثمة استثناءات مهمة: الثورة الإيرانية، والتي تعتبر واحدة من أهم الثورات السلمية في العالم من حيث عدد السكان الذين شاركوا فيها، تمخضت في النهاية عن نظام شمولي وقمعي. في الوقت ذاته شهدت دولة الفلبين عدداً من الثورات السلمية ولكنها ما زالت تعاني إلى اليوم من صراعات داخلية لبناء الديمقراطية ومكافحة الفساد.

الثورة البرتقالية في أوكرانيا كانت ناجحة بدورها إلى حد كبير، إذ بشرت بعهد جديد من التحرر السياسي، ولكن الانتكاسات الأخيرة قد تشير إلى أن البلد يمشي بالاتجاه المعاكس.

لكن من المرجح أن أياً من هذه النتائج لم تكن لتظهر بشكل أفضل بأي حال لو كانت هذه الثورات مسلحة. في الواقع، في معظم البلدان التي نجحت فيها الثورات المسلحة، كانت الأنظمة الجديدة على درجة من الوحشية تقارن على الأقل بالأنظمة التي أطاحت بها (يستطيع تأكيد ذلك أي شخص عاش في أعقاب الثورة الروسية، الثورة الفرنسية، والحرب الأهلية الأفغانية، أو الثورة الكوبية). وقد عبر عن ذلك أونغ سان سو كيي،

زعيم الحركة المؤيدة للديمقراطية في بورما، والحائز على جائزة نوبل: "ليس من السهل أبداً إقناع أولئك الذين وصلوا إلى السلطة بالقوة بأن ثمة حكمة كامنة وراء التغيير السلمي".

خلاصة القول هي أنه في حين أن نضال اللا عنف قد لا يضمن الديمقراطية، إلا أنه كفيل على الأقل بضمان الحصول على أهون الشرور المحتملة. إن طبيعة النزاع نفسها غالباً ما تكون مؤشراً على شكل الدولة التي سنحصل عليه بعد أن يصل النظام الجديد إلى الحكم، وقلة من الناس تريد أن تعيش في بلد تم الاستيلاء فيه على السلطة والحفاظ عليها بالقوة والسلاح وحدهما.

في تقرير نشرته صحيفة " نيويورك تايمز " الأميركية بعنوان: مثقف أميركي خجول ابتدع كتابًا يستخدم في الثورة " كتبت شيريل جاي ستولبرج عن جين شارب تقول: في منتصف الطريق حول العالم من ميدان التحرير في القاهرة يقبع رجل مسن في بيته بأحد الأحياء العمالية الفقيرة في بوسطن يعكف بهدوء في مكتبه بشعره الأبيض على الإشراف على بعض زهور الأوركيد التي ينميها ويدقق في صفحات الإنترنت ولا يخطر ببال أحد أنه رجل خطير لكن أفكاره تبدو فتاكة.

وتقول الكاتبة "والحق أن قلة من الأميركيين تعرف جين شارب لكن لعقود طوال كانت كتاباته التطبيقية في مجال الثورات اللا عنيفة "السلمية" وأشهرها كتاب "من الديكتاتورية للديمقراطية" وهو دليل مكون من 93 صفحة لإسقاط الطغاة هذا الكتاب هو الذي ألهم المعارضين حول العالم بمن فيهم الثوار في بورما والبوسنة وإستونيا وزيمبابوي وأخيرًا حاليًا في تونس ومصر".

وعندما تسلل أعضاء المركز الدولي للصراعات غير العنيفة - وهو كيان غير حزبي - إلى القاهرة منذ عدة سنوات خلت من أجل عقد ورشة عمل كان من بين الأوراق التي وزعت خلال هذه الورشة كتيب لجين شارب بعنوان" 198 طريقة للعمل غير العنيف" وهي قائمة بالتكتيكات التي تتنوع ما بين الإضراب عن الطعام إلى الاحتجاج الشامل

وصولا إلى الكشف عن هويات العملاء السريين "للمباحث"!

داليا زيادة وهي مدونة مصرية وناشطة حضرت ورشة العمل وقامت من بعدها بإنشاء ورش عمل مشابهة من تلقاء نفسها قالت إن المتدربين كانوا من النشطاء فيما بعد في الثورتين التونسية والمصرية، وقالت إن بعض النشطاء قاموا بترجمة مقاطع من أعمال جين شارب إلى اللغة العربية وأن أهم ما رسخ في أذهانهم كانت أفكاره عن مهاجمة نقاط ضعف الديكتاتور!

بيتر أكرمان، وهو واحد من تلاميذ جين شارب وهو الذي أسس مركز اللا عنف وقاد ورشة العمل في القاهرة أكد البرهان في أفكار جين شارب ووصف أعماله بأنها أفكار لها نفوذها وقوتها!

وبينما يتم النظر إلى الثورة التي أقصت حسني مبارك على أنها شجاعة، يقول شارب: "لقد فعلها شعب مصر ولم أفعلها أنا" لقد كان شارب يتابع الثورة المصرية من على شاشات محطة سي إن إن من بيته المتواضع في شرق بوسطن، وهو البيت الذي اشتراه عام 1986 بمائة وخمسين دولاراً بخلاف المتأخرات الضريبية التي كانت على العقار لقد تزايدت قيمة العقار عندما تم تحويله إلى مقر رئيسي لمعهد ألبرت أينشتاين وهي منظمة أسسها شارب عام 1983 بينما كان يدير بعض الحلقات الدراسية في جامعة هارفارد ويقوم بتدريس العلوم السياسية فيما يسمى الآن جامعة ماساشوستس في دورتماوث، وهذا المعهد (أينشتاين) يتكون منه ومن مساعدته جميلة رجب والتي فرت عائلتها من القمع السوفييتي في أفغانستان عندما كانت في الخامسة من عمرها والمبنى الذي يضمهما مكتوب عليه من الخارج عبارة "جوتوف جي" وهي العبارة الصربية التي ترجمتها: لقد انتهى أمره!

في عصرنا هذا الذي تقود فيه "تويتر" الثورات، يتضمن الإنترنت القليل لجين شارب فلا صفحة له على الفيس بوك وهو لا يحب أن يشارك في صفحة معهد ألبرت أينشتاين على الإنترنت، وإذا كان عليه أن يرسل بريد إلكتروني فهو يستشير مساعدته الأفغانية في

أن تكتب على جهاز حاسوبه من طراز ماكنتوش المحشور إلى جوار كتبه وأبحاثه، والحق أن بعض الناس يشكون في أن شارب يساري لكن أعماله تستند إلى ثوريين من أمثال غاندي وللحركات الثورية اللا عنفية والحقوق المدنية وحركات المقاطعة الاقتصادية. وقد خلص إلى أن انتزاع الحريات يتطلب إستراتيجية وتخطيطًا دقيقًا. ومن بين النصائح التي تقول الآنسة داليا زيادة إنه كان لها أثرها بين قادة الشباب في مصر أن أفضل الطرق هو الاحتجاجات السلمية ليس - كما يقول شارب لأسباب أخلاقية وإنما لكون العنف يستفز الطغاة للانقضاض إذ يقول: إذا ما ناضلت بالعنف فأنت تقاتل بأفضل سلاح في يد عدوك وقد تبدو جريئًا وإن كنت ستموت كبطل!

في 2008 قالت إيران: إن شارب ومعه السيناتور الأمريكي جون ماكين والملياردير جورج سوروس كانوا وراء فيديو دعائي لتحريض الجماهير وقالوا إن شارب هو أحد العملاء المعروفين لجهاز الاستخبارات المركزية الأميركية وأنه هو المسؤول عن الاختراق الأمريكي للدول الأخرى، وعن ذلك يقول ستيفن زيونز الخبير الإستراتيجي بجامعة سان فرانسيسكو: إن جين شارب يعتبر عمومًا الأب الروحي لكل مجال إستراتيجيات أعمال اللا عنف.

بعض من تلك القصص التي بالغت في دوره تدور في أرجاء العالم وتؤجج الثورات وتقود أعمال الشغب يا لها من نكتة، فهو فحسب يقوم بأعمال البحث والأعمال النظرية لا تأجيج الثورات، على أن الجميع لا يظهر انبهارًا به فالدكتور أسعد أبوخليل العالم السياسي اللبناني ومؤسس مدونة خدمة أخبار العرب الغاضبين شكا من أن بعض الصحفيين الغربيين ينظرون إلى جين شارب وكأنه لورانس العرب. وهم يفسرون نجاح المصريين في ثورتهم في محاولة استعمارية لإنكار أي إنجاز للشعب المصري في ثورته!

ويقول تييرى ميسان الذي تحرم أميركا الديمقراطية كتاباته وتمنع دخوله إلى الأراضى الأميركية بعد أن كشف قصة أكبر خديعة عالمية حين كتب كتابه الأشهر "الخديعة الكبرى" عن أحداث 11 سبتمبر 2001، على الأراضى الأميركية وفند الرواية الرسمية

للحكومة الأميركية عن هذه الأحداث، ونتيجة لتحقيقه الدقيق ومعلوماته الغزيرة المستقاة من مصادرها المباشرة شكل هذا الكتاب صدمة للضمير العالمى، وترجم إلى كل لغات العالم تقريبًا.

يقول ميسان إن واشنطن كانت موجودة في تونس ومصر وليبيا ولا تزال موجودة في سوريا، كاشفا عن أدوار هنرى ليفى، الكاتب الفرنسى ومحمود جبريل أول رئيس وزراء ليبى بعد اغتيال القذافى، وسر زيارة السيناتور الأمريكي جون ماكين وزميله الآخر السيناتور جوزيف ليبرمان إلى القاهرة وترتيب اجتماع ضم ليبيين وسوريين للترتيب لثورة متزامنة في ليبيا وسوريا. وفي الجزء الأول من هذا الحوار يفتح ميسان خزائن أسراره الرهيبة عما جرى في المنطقة من ربيع وثورات وحروب، مؤكدا أن الرئيس الفرنسى السابق نيكولا ساركوزى حاول اختطافه واغتياله.

ويقول إن الربيع العربى مصطلح إعلامي للإثارة، وأحداث كل بلد عربى اختلفت عن البلد الآخر، ومن الصعب مقارنة الثورة الشعبية في تونس بالتدخل الاستعمارى بليبيا.

الأمر نفسه ينطبق على مصر واليمن وسوريا، ويعتقد البعض أن هذه الثورات بداية للتفكيك الحضارى والثقافى بقلب البلاد العربية، وإن كان من المبكر أن نجزم بهذا الأمر، لكن القوى الاستعمارية تحاول وضع أيديها على هذه الحركات وتلك الثورات، ونجحوا في أماكن وفشلوا في أخرى.

وردًّا على سؤال حول ما إذا كان يعني أن الثورات العربية انفجرت بفعل خارجى فقط.. يقول ميسان: لا. ليس هذا ما أعنى بالضبط، أميركا كانت راغبة في إشعال ثورات، في مصر وتونس فجرت مشكلات عميقة في مسألة الغذاء، هذه المشكلات الغذائية أدت إلى تصاعد احتجاجات شعبية عنيفة رأيناها جميعا.

ويقول ميسان: الشعب التونسى ظن أن بداية الاحتجاج الشعبي غير مرتب لها، وهذا ظن خاطئ، وكان يعتقد أن حادثة انتحار بوعزيزى فجرت الثورة، ولكن علينا

أن نتذكر أن نفس المكان شهد ثورة كبرى أشعلتها القوى الاستعمارية منذ قرن ضد الإمبراطورية العثمانية.

وهو نفس الأمر الذي جرى بتونس حين تم الالتفاف الأمريكي على الاحتجاج الشعبي مستفيدًا من الثورات الملونة مثل ثورة الياسمين في دول الاتحاد السوفيتى السابق.

أما في مصر - كما يقول - فلست متأكدا إذا كانت بداية الثورة عفوية أم لا، ولكن ما أعرفه أن أميركا أرسلت جميع أجهزتها السرية إلى القاهرة لتساعد الثورة الملونة، ونحن نعرف أن كثيرًا من المصريين تدربوا في أميركا على الثورات، ونفس الأمر بتونس كان هناك من تم تدريبهم بأميركا قبل إشعال الثورة هناك.

وعما إذا كانت هذه الثورات تمثل خطرًا على إسرائيل.. يرد ميسان: على الإطلاق. لا تمثل أي خطر على إسرائيل.

فأى حركة أو جماعة تصل إلى السلطة تعمل على التحالف مع أميركا وإسرائيل.

والآن يمكن القول إن عمليات التدخل السافرة تتم تحت عناوين براقة وخادعة مرة بدعم حقوق الإنسان وأخري لدعم الديمقراطية، وثالثة حقوق المرأة والطفل، وهي عناوين مقصودة لخداع البسطاء والسذج، والأخطر من هذا وذاك أنها تتسلل إلى كثير من المجتمعات خلسة بعيدًا عن أجهزة الدولة الرسمية.

ويبدأ التعامل المباشر بين الصناديق الأميركية ومنظمات المجتمع المدني مباشرة بدون حسيب ولا رقيب لا في الدول المستهدفة ولا حتي داخل الولايات المتحدة، وأصبحت بعض الصناديق والهيئات تمثل وزارة خارجية أميركية موازية بعيدًا عن رقابة الكونجرس الذي يمول هذه الصناديق، وفي حقيقة الأمر فقد كانت صيغة المجتمع المدني صيغة عبقرية أنتجتها جماعة الفكر الأميركي التي تعمل لصالح وكالة المخابرات لخدمة المصالح الأميركية بصورة مبتكرة.

ويعتبر الصندوق الوطني للديمقراطية "إن إي دي " والمعهد الجمهوري الدولي

التابع للحزب الجمهوري" آي آر آي " أهم أسلحة حرب الأفكار الأميركية ولعبت أدوارًا مهمة في تغيير الأنظمة والانقلابات وزعزعة الاستقرار من خلال دعم الجماعات المعارضة في الاتحاد السوفيتي السابق وأوربا الشرقية والصين وكوبا وإيران والعراق وفيتنام ونيكاراجوا، وبالطبع كانت الفرصة مهيأة لدعم المعارضة، أي أن الأراضي كانت مبتلة بالبنزين ولا تحتاج النيران للاشتعال سوي عود ثقاب صغير.

ومهما تعللت منظمات المجتمع المدني بأنها تتلقي مساعدات من منظمات دولية إنسانية فهذا تضليل لأن تلك الصناديق ممولة من الكونجرس بهدف تدعيم المصالح الأميركية في المناطق الإستراتيجية في العالم.

وفي هذا التقرير عرض واقعي لما فعلته عمليات التمويل في عدد من الدول كتذكرة لبعض المؤمنين أو المؤلفة قلوبهم ثوريًا للتأكد من أن عملية التمويل التي يدافعون عنها باستماتة لم تكن من أجل سواد عيون حقوق الإنسان أو الديمقراطية لكن لمآرب أخرى، أهمها تدعيم النموذج الغربي في الحكم وتثبيت برلمانات وقادة موالين لهم أو على الأقل غير معادين لهم، ومحاربة التيارات المعادية وفي منطقتنا هم الإسلاميون.

ففي هاييتي أصبح معروفًا الآن أن المعهد الجمهوري هو المحرض والممول على الانقلاب الدموي الذي أزاح الرئيس جان برتران اريستيد من السلطة في فبراير عام 2004، واستمر المعهد يعمل على تقويض عمليات المصالحة وترك البلاد في حالة من الفوضى حتى نجح الانقلابيون في فرض رينيه بريفال على كل الأسماء التوافقية التي كانت مطروحة.

ومن ضمن إستراتيجية المعهد الجمهوري العمل بالتأثير عن طريق دعم الفصائل الصغيرة، لأن أفراد المعارضة لا يستطيعون الفوز في الانتخابات، وبالتالي يعمل المعهد على دعم الجماعات المناوئة الصغيرة التي ربما لا تلتفت الأنظار إليها، وكانت الفرصة مواتية لهذه الإستراتيجية في هاييتي لوجود عشرات المنظمات الصغيرة، وأخيرًا تم الكشف عن منحة بقيمة 3 ملايين دولار للانقلابيين وصلت إليهم تحت شعار تسوية اللعب في الميدان.

والغريب أن هذه المنحة وصلت في البداية لمكتب الأمم المتحدة كغطاء شرعي ومنه وصلت إلى تلك الجماعات الصغيرة المعارضة، وفي نهاية الأمر اكتشف العالم كله أن إدارة بوش كانت هي التي تقف وراء خطف الرئيس الشرعي لهاييتي والانقلاب عليه.

وتكرر نفس الدور للمعهد الجمهوري الدولي في انقلاب عام 2002 في فنزويلا، وقد تأكد بعد التحقيقات التي تمت عمليات التورط بالتمويل والتدريب، وقد حول المعهد لعدد من الصناديق الأميركية ملايين الدولارات في الأشهر التي سبقت الانقلاب الفاشل ضد هوجو شافيز، وكانت الفضيحة يوم الانقلاب عندما أصدر رئيس المعهد بيانًا صحفيًا يشيد بإزالة شافيز من السلطة ظنًا منه بنجاح الانقلاب، وهو ما لم يحدث، فقد ظن الرجل أن دولاراته نجحت بعد تأكيد المعارضة المموَّلة بقدرتها على إزالة شافيز.

وفي كوبا يمول المعهد الجمهوري عددًا كبيرًا من المنظمات التي تتفاخر بتمويلها ونشاطها في زعزعة الحكم والاستقرار.

والمثير أن كل من يعمل حتي في المشروعات الممولة لأنشطة أخرى يعرف أنه يعمل لتغيير نظام الحكم الشيوعي المناهض لأميركا.

وفي هندوراس، عندما رفض الرئيس زيلايا السماح بجعل بلاده منصة للهجوم الأميركي على فنزويلا اشتبكت معه إدارة بوش وشرع المعهد الجمهوري في تحريك الانقلاب، وهذه المرة كان باستخدام العلاقات العسكرية المميزة بين واشنطن وهندوراس لشراء ودعم القادة العسكريين، حتي إن المرشح الرئاسي السابق جون ماكين وهو في نفس الوقت رئيس المعهد الجمهوري يدعم علنًا تغيير النظام لتأمين المصالح الأميركية.

ويشار هنا إلى البرامج والشعارات المضللة ضد الرئيس زيلايا والتسويق الإعلامي السياسي ضد الحكومة، والمصيبة أن الوكالة الأميركية للتنمية الدولية توفر 49 مليون دولار سنويًا للمجتمع المدني في هندوراس وتشترك كل الصناديق الأميركية تقريبًا في دعم الانقلاب هناك والذي يطلق عليهم المروجون للديمقراطية.

وفي نيكاراجوا، قام الصندوق الأميركي الديمقراطي بتمويل منظمات المجتمع المدني لزعزعة استقرار الحكومة الساندينية، ومن المعروف أن هذا الصندوق أصبح معروفًا عند الكثيرين بأنه أحد أهم الأدوات المتخصصة لاختراق المجتمع المدني في الدول الأخري، وصولًا إلى أدنى مستويات القاعدة الشعبية، وذلك بهدف تحقيق أهداف ومصالح السياسة الخارجية الأميركية كما يؤكد الكاتب الأميركي ويليام روبنسون من جامعة كاليفورنيا، وقد شهد الرجل نفسه عمل هذا الصندوق مع المعارضة التي كانت تدعمها واشنطن لإزالة الساندينديسنا في انتخابات 1990 وكان من اللافت للنظر ومنها تلك المحاولة الفاشلة لمنح الصندوق مرشحة المعارضة فيونيتاشامورو مبلغ 3 ملايين دولار لتمويل حملتها الانتخابية ضد دانيال أورتيجا، بعد كشف هذه المنحة وفضحها تم توجيه الملايين الثلاثة إلى عدة برامج ساعدت المرشحة شامورو بشكل غير مابشر بدلا من التبرع لها بصورة مباشرة.

ففي بولندا مثلا، كانت عمليات الاختراق منذ ثمانينيات القرن الماضي وذلك عندما بدأت نقابة تضامن في مشوارها من أجل الحرية ضد النموذج البيروقراطي السوفيتي، ومن بولندا بدأت الحرب بالوكالة ضد الشيوعية، وتدفقت الأموال على الانتفاضة عن طريق المخابرات الأميركية والصندوق الوطني للديمقراطية والاتحاد الأميركي للعمل وتوافر المنظمات الصناعية وعلي الهامش تم منح منظمات المجتمع المفتوح أيامها في بولندا 3 ملايين دولار سنويًا كانت تذهب مباشرة للمنشقين، وظل العمل بين هذه المنظمات ووزارة الخارجية الأميركية مستمرًا أكثر وكانت بروفة فعالة ومؤثرة للثورات الملونة في أوربا الشرقية في جورجيا 2003 وفي أوكرانيا عام 2004 وذهب التمويل لدعم الاحتجاجات الشبابية وكان التمويل من الصندوق الوطني للديمقراطية وبيت الحرية وأنفق جورج سورس وجماعة الشوروسيين 24 مليون دولار في جورجيا بينما وفرت نفس المؤسسة التدريب في أوكرانيا وبالفعل نجحت الثورات في الدولتين وبشرت بموجة جديدة من الديمقراطية في مختلف أنحاء العالم.

وفي صربيا، تم التدبير بعناية للإطاحة بالرئيس سلوبودان ميلوسوفيتش في أكتوبر

عام 2000 وقدم المعهد الجمهوري والصندوق الوطني للديمقراطية خبراتهما في التنظيم والمساعدة في تطوير سياسات المعارضة وتوحيد كل الفرقاء السياسيين وقدم المعهد الجمهوري لمجموعة طلاب أوتوبور تعليمات المعارضة غير المسلحة وغطت أوتوبور جدران صربيا كلها بملصقات مضادة لميلوسوفيتش.

ولعب ريتشارد مايلز السفير الأميركي في بلجراد دورًا رئيسيًّا وكرر الخديعة في جورجيا من خلال تدريب ميخائيل ساكاشفيلي على إسقاط الرئيس إدوارد شيفارنادزه، ويعرف سماسرة الثورات والانقلابات وجود مكتب صغير في وسط بلجراد يضم نخبة من الشباب المؤهل على تعليم وتدريب الراغبين في التغيير وهذه الخبرات للتأجير لمن يدفع، ويعرف السماسرة وبعض منظمات المجتمع المدني التي تتلقى التمويل أن جهات التمويل تشترط التعامل مع هذا المكتب.

وبعد عشرة أشهر من النجاح في بلجراد قام سفير الولايات المتحدة في مينسك مايكل كوزاك وهو عميل قديم في علميات مشابهة في أميركا الوسطى بتنظيم حملة شبيهة للتخلص من ألكسندر لوكاشينكو رجل روسيا البيضاء والقوي وفي عام 2007 اعترف المعهد الجمهوري علنًا ومعه المعهد الديمقراطي بتمويل المعارضة في روسيا البيضاء، والمتتابع لما جري في روسيا البيضاء من تدعيم وسائل إعلام وتدريب النشطاء في بيلا روسيا في صربيا وغيرها يربط بينها وبين ما حدث وما يحدث في ثورات الربيع العربي، بل إن السياسي الأميركي جو ليبرمان دعا وبصفاقة للتدخل المباشر في الشؤون الداخلية لبيلا روسيا، وكان الهدف هو دفع روسيا البيضاء ومحاصرتها بين عدة دول معادية مثل جورجيا وإجبارها على الانضمام لحلف الناتو.

وأرجعت وول ستريت جورنال، إسقاط شيفارنادزه إلى ما قامت به المنظمات غير الحكومية التي كانت تدعمها المؤسسات الأميركية، وأدت إلى إيجاد فئة من الشباب المثقف الذي يتحدث الإنجليزية والمتعطش للإصلاح الموالي للغرب، وبالفعل كان لهؤلاء دور فاعل في التمهيد للانقلاب الذي قامت به المنظمات غير الحكومية.

والأكثر إثارة كان تثبيت ساكا شفيلي في السلطة، وهو أسلوب جديد في إبداع الصناعة الأميركية باستخدام منظمات المجتمع المدني كأول انقلاب سلمي بهذا الأسلوب كانتقام من أي رئيس أو إدارة معادية لجدول أعمال السياسة الخارجية الأميركية.

والأمر المؤكد الآن أن الثورة البرتقالية في أوكرانيا هي صناعة أميركية في الإعداد ببراعة وبشكل متطور على ممارسة التسويق السياسي في 4 دول خلال 4 سنوات. لتنفيذ انتخابات مزورة وإسقاط الأنظمة البغيضة لهم، وكانت الخبرة المكتسبة من صربيا وجورجيا وروسيا البيضاء لا تقدر بثمن في التخطيط لضرب نظام ليونيد كوتشما في كييف، وهكذا أصبحت هندسة الديمقراطية من خلال صناديق الانتخابات والعصيان المدني علمًا شديد المهارة.

وربما ما حدث في إيران منذ عام 2004 لايزال في الأذهان، وخاصة بعد تعيين سكوت كاربنز الموظف بالمعهد الجمهوري مديرًا في وزارة الخارجية لمبادرة الشراكة الشرق أوسطية، وانحصرت مهمته في التوصل مع عملائه داخل إيران واستكشاف الجماعات الإيرانية التي تقبل التعامل والتمويل والدعم الخارجي بعملية التغيير، وبالفعل تم إنشاء مكتب للشؤون الإيرانية وذلك بهدف تسهيل التوصل إلى تغيير السياسات الإيرانية وذلك بالتحريض على طريق أوتوبور في صربيا باستخدام نفس التقنيات كالكتابة على الجدران ضد الحكومة وغيرها لتشجيع الحركة الطلابية على استفزاز الحكومة لاتخاذ إجراءات صارمة، يمكن أن تكون شرارة لبدء الانتفاضة الجماهيرية تبدو كانتفاضة عفوية وأهلية، وبالفعل وفر الصندوق عام 2009 نحو 674 ألف دولار منحة لهذه الأنشطة، علاوة على 5 ملايين دولار.

أما في العراق فقد كان الأمل أن تجري العملية الانتخابية بطريقة شفافة يجريها العراقيون غير أن الوكالات الممولة أميركيًا كانت مستثناة، فهم يصفون أنفسهم بأنهم مؤيدون للديمقراطية ولكنهم ضد الديمقراطية، وأصبح من المعروف الآن أن إدارة بوش وفرت 80 مليون دولار للأنشطة السياسية والانتخابية في العراق، وذلك من

خلال المعهد الديمقراطي الوطني للشؤون الدولية والمعهد الجمهوري الدولي.

ولعل في قصص الانقلابات والثورات في أمريكا اللاتينية وأوربا الشرقية ما يزيد الوعي لدينا حتي لا نسقط في فخ الحروب والفتن والفوضي اللا أخلاقية.

فقد تردَّت الأوضاع المعيشية إلى الصفر وتفشّى الفساد فضلا على الانتشار المرعب للأسلحة والقناصة وحملات إعلامية موجهة وسقوط أنظمة في استنساخ غربي لربيع الثورات.

الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن ثورات الربيع العربي تشترك في أسباب عميقة مؤدية لاندلاعها ومتمثلة في إحباط بعض الشعوب نتيجة غياب الديمقراطية والحرمان من الحقوق الأساسية ومن الحريات الفردية، بالإضافة إلى تدهور الظروف المعيشية وتنامي الفساد وانعدام العدل الاجتماعي.

فحتى عملية توصيف الثورات العربية بالربيع يحمل ضرورة معاني سياسية إذ غالباً ما يستخدمه الغرب بانتقائية ليسبغه على الحالات التي توافق معاييره الخاصة، إذ لا أحد على سبيل المثال أطلق وصف الربيع على الثورة الإيرانية في عام 1979 التي أطاحت بالشاه لأن هذا الأخير كان حليف أميركا وبالمثل لم نسمع عن الربيع الفلبيني على رغم أن الشعب أطاح بالديكتاتور فرديناند ماركوس الذي رعته أميركا.

أميركا تسعى إلى الإبقاء على هيمنتها على الاقتصاد العالمي كوسيلة للسيطرة على النظام السياسي العالمي، حيث نشهد اليوم عملية تدميرية منظمة تقوم بها أميركا وحليفتها بريطانيا تهدف في المحصلة إلى تخريب النظام السياسي والاقتصادي العالمي. ونحن نسأل من أين للولايات المتحدة هذا المستوى المعيشي العالي رغم الأزمات؟

إنّ الولايات المتحدة قلقة من انخفاض قيمة الدولار، وإذا استمر بالتدهور فإنّ واشنطن ستفقد قوّتها وتفوّقها ولذلك تسعى إلى زعزعة الاقتصاد العالمي وجرّه مجدّدا لكي يكون عبدًا للدولار، ولكي يبقى العملة القوية الوحيدة في العالم. وتسعى أيضا إلى إدامة القروض الأميركية ولتحقيق هذا الهدف يتعين إشعال فتيل الحروب فالحربان

العالميتان الأولى والثانية خلقت القوة الأميركية وجعلتها مهيمنة واليوم لم تفلح محاولات واشنطن لجر الكوريتين إلى الحرب ولا هي أفلحت في جر الهند وباكستان إلى المواجهة. ولم تنشب حرب بين إيران وإسرائيل...وهنا تلجأ الولايات المتحدة إلى الخيار الاحتياطي، أي زعزعة الاستقرار وإشاعة الفوضى في العالم العربي الغني بالثروات والطاقات.

وعمليًا فإن المشكلات التي تعاني منها البلدان العربية والإسلامية ليست بدعة وهي موجودة في معظم بلدان العالم، ويمكن إذا شئنا إخراج شعار تحرير أيرلندا الشمالية من قبضة لندن فيما لو أراد أحد زعزعة استقرار بريطانيا العظمى، ويمكن عبر الإنترنت التحريض على العصيان ولكن كي تتحقق الثورة يجب أن يراق الدم ويتساقط القتلى في الشوارع، وإذا لم تطلق السلطات النار على المتظاهرين فإنّه يجب مساعدتها في ذلك، وهنا تحديدًا يأتي دور القنّاصة.

لا يختلف عاقلان على أنّ جلّ الثورات التي اندلعت في المعسكر الاشتراكي "ربيع الثورات الملوّنة "لم تكن لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية بل بفعل فاعل خارجي حبك خيوط اللعبة الجيوسياسية وأتقنه.

والبداية كانت خلال سنة 1993 مع ثورة بوريس يلتسين المضادّة، حين قصف البرلمان الروسي انتشرت العديد من فرق الموت المأجورة أو من يسمّون بالقناصة وسط موسكو.. انتشروا فوق الأسطح والمباني ليحصدوا أرواح آلاف المتظاهرين الأبرياء وليختفوا بسرعة قياسية ... زمنها أكدت تقارير استخباراتية وإعلامية اعتمادًا على الكثير من شهود العيان، أن هؤلاء شاهدوا القناصة وهم يطلقون النيران على المدنيين من أعلى بناء مواجه للسفارة الأميركية في موسكو..وكالعادة سارعت جلّ وسائل الإعلام الدولية إلى نسب القناصة للحكومة السوفييتية.

خلال سنة 2002 نظّمت المخابرات الأميركية "سي.آي.إيه" انقلابًا عسكريًا على نظام الرئيس الراحل هوجو تشافيز مسبوقًا بمسيرة معارضة اتجهت صوب القصر

الرئاسي. وقد انتشر - آنذاك - وتمركز عشرات القناصة الأجانب المأجورين في أبنية قرب القصر وفتحوا النيران على المحتجين والمتظاهرين مودين بحياة ثمانية عشر منهم. وبعدها مباشرة ادّعت وسائل الإعلام الدولية والفنزويلية أنّ الرئيس شافيز كان يقتل شعبه ولهذا برّر الانقلاب العسكري على أنّه تدخل إنساني... فشل الانقلاب لكن لم تذكر أبدًا هوية القناصة.... الثورة البرتقالية في أوكرانيا خلال سنتي 2004-2005 لم تشذ عن القاعدة بل استنسخت عن سابقاتها وبعد سلسلة من المظاهرات والقنص والعنف والأحداث السياسية التي وقعت على امتداد البلاد كردّ فعل على مزاعم الفساد الجماعي وتخويف الناخبين والتزوير الانتخابي المباشر نصب فيكتور يوشينكو رئيسًا للبلاد إثر انتخابات موجّهة من الغرب

كذلك ثورة جمهورية قرغيزستان 2010 والتي انطلقت إثر نزاع عرقي مفتعل لينتهي المشهد كالعادة بقنّاصة أجانب يجوبون شوارع العاصمة "بيشكيك" ويطلقون النيران على كل من يعترضهم من "الأوزبيك" على طريقة "الكاوبوي" الأميركي وقبلها وبالضبط خلال سنة 2008 تم اكتشاف مخبأ أسلحة في منزل في العاصمة القرغيزية كان يستأجره مواطنان أميركيان، زمنها ادعت السفارة الأميركية أن الأسلحة كانت تستخدم في تدريبات مكافحة الإرهاب.

وقائمة الثورات الموجهة عن بعد بواسطة الريموت كونترول لا تحصى ولا تعدّ، خصوصا وأنّ أميركا كانت تتعامل مع دول العالم الثالث وكأنها بيادق لعبة شطرنج تحرّكها حسب أهوائها وأهدافها.. فمن ثورة تايلاند لسنة 2010 حين وقع الجنود التايلانديون في فخ نصب لهم من قبل مثيري شغب ذوي خبرة عسكرية فائقة(رجال مسلحون مارقون، أو إرهابيون أو قناصة) وقد سبب الرجال المسلحون المجهولون إصابات كبيرة بين المتظاهرين وقوات الأمن الداخلي...ثورة أطلق عليها بثورة استعراض التوابيت، بما أنّ محتجّي القمصان الحمر التايلانديين قتلوا على يد قنّاصة أجانب بقوا مجهولين إلى حدّ السّاعة كحال نظرائهم في تونس.

وذكرت شبكة "سي.إن.إن" في السادس عشر من شهر يناير 2011 أن عصابات مسلّحة كانت تقاتل قوات الأمن التونسية والكثير من الجرائم التي ارتكبت خلال الانتفاضة التونسية كانت على يد قناصة مجهولين. ويوجد أيضا فيلم فيديو نشر على الإنترنت ويظهر اعتقال أشخاص سويديين وسط العاصمة من قبل قوات الأمن التونسية، وكان من الواضح أن أولئك المرتزقة يحملون بنادق قناصة ادعوا زمن القبض عليهم أنّهم سياح قدموا إلى تونس لصيد الخنزير، والحال أن البلاد كانت في فوضى عارمة يتجنبها السياح، إضافة إلى أن الفترة لم تكن مناسبة لصيد الخنزير ووسط العاصمة بالذّات.

كما بثت محطة "روسيا توداي" مقالات كتبها عديد من الخبراء مثل ميشيل تشوسودوفسكي وويليام إنغدال التي تظهر كيف أن الانتفاضات في شمال إفريقيا كانت خاضعة لنماذج الانقلابات التي تدعمها أميركا أكثر من كونها ثورات شعبية حقيقية، استمرت أحزاب الجناح اليساري والمنظمات بتصديق شكل الأحداث التي قدّمتها لهم الجزيرة وإعلام الغرب الليبرالي ولو أن اليسار أخذ أفكار اليسار من كتاب لينين القديم لكان فهم الأمر كما يلي: حيث إنّ مجريات الأحداث في ثورة تونس تظهر بوضوح بأن السفارات الأميركية والفرنسية والبريطانية وعملاءها والمرتبطين بها قاموا بشكل مباشر، وبالتعاون مع مجموعة من الضباط والمسؤولين التونسيين، بتنظيم خطة لإسقاط بن علي.

فالغرب يدرك أنه من الضروري، في بعض الأوقات، أن تقوم الإمبريالية بإسقاط عملائها.

وبشعاراتهم الثورية وإصرارهم المتعجرف على اعتبار الأحداث في تونس ومصر عفوية وانتفاضات شعبية، ارتكب اليساريون ما أسماه لينين أخطر آثام الثورة وهو إحلال المثاليات مكان الملموسات، وبكلمة أخرى وببساطة انخدعت مجموعات الجناح اليساري بالكلام السفسطائي عن أحداث الربيع العربي المدعوم من قبل الغرب، ولهذا السبب تم خلال الانتفاضة التونسية إغفال عنف المتظاهرين والاستخدام الواسع

لقناصة ربما يرتبطون باستخبارات غربية واستخدمت التقنيات ذاتها في ليبيا بعد عدة أسابيع، ما أرغم اليسار على التراجع وتعديل حماسه الأولي للربيع العربي المدعوم من المخابرات الأميركية "سي.آي.إيه".

ونشرت صحيفة "تليجراف" في العشرين من أكتوبر 2011، مقالا بعنوان "مات أشقاؤنا لأجل مصر أفضل" وورد في ذات الصحيفة أنّ "مينا دانيال"، وهو ناشط ضد الحكومة في القاهرة، قد أصيب في صدره بجرح قاتل بسبب نيران قناصة مجهولين.

ولكن وبشكل غير قابل للتفسير، لم تعد المقالة متوفرة على موقع الصحيفة على شبكة الإنترنت بعد أن تم محوها، فمن عساهم يكونون أولئك القناصة المجهولون؟

وفي السادس من فبراير 2011 ذكرت قناة الجزيرة أن الصحفي المصري، أحمد محمود، أصيب بنيران القناصة مع محاولاته تغطية الاشتباكات بين قوات الأمن المصرية والمتظاهرين وإشارة إلى التصريح الذي أدلت به زوجة الشهيد، عملت الجزيرة على دس معلومة مفادها أن محمود ربما قتل من قبل قوّات الأمن المصرية فقالت إن العديد من شهود العيان أخبروها بأن نقيبًا بزي الشرطة يعمل لصالح قوات الأمن المركزي المصرية سيئة السمعة كان يصرخ في وجه زوجها لكي يتوقف عن التصوير، وقبل أن يقوم محمد بأي ردة فعل أطلق قنّاص النار عليه وبينما قامت قناة الجزيرة المشبوهة (كانت المحطة القطرية لاعبًا أساسيًّا في الحرب السرية الخفية التي شنها الناتو وعملاؤه على أنظمة تونس وليبيا ومصر واليمن وسوريا) على تعزير نظرية أن القناصة يعملون لفائدة نظام مبارك، والحال أنّه لا يزال إلى تاريخ الساعة دور أولئك القناصة المرتزقة الذين أرعبوا المواطنين في الثورة المصرية لغزًا غامضًا يصعب حل شفراته.

والمؤكد أن تورط الاستخبارات الغربية أمر لا يمكن استثناؤه ويجب الإشارة إلى أن دور القناصة المجهولين في المظاهرات الجماهيرية لا يزال معقّدًا وله عدّة أوجه، لذا يجب عدم القفز مباشرة إلى الاستنتاجات ويبقى السؤال من كان أولئك القناصة في مصر وأي هدف كانوا يخدمون؟

وخلال عملية زعزعة استقرار ليبيا، بثت الجزيرة شريط فيديو يهدف إلى عرض المتظاهرين السلميين (المؤيدين للديمقراطية) وهم يصابون بنيران (قوات القذافي)... لقد تم تعديل الفيديو لإقناع المشاهدين بأن متظاهرين معادين للقذافي قتلوا من قبل قوات الأمن.

ولكن نسخة غير منقحة متوفرة على موقع اليوتيوب تظهر بوضوح مؤيدين للقذافي يحملون الأعلام الخضراء وقد أصيبوا بنيران قناصة مجهولين وتعمّد نسب جرائم ارتكبها الناتو إلى قوات أمن الجماهيرية الليبية كان السمة المستمرة للحرب الإعلامية الوحشية التي شنّت ضدّ الشّعب اللّيبي...الجزيرة القطرية وفي إطار حملتها المسعورة على نظام القذافي عمدت إلى استنساخ الساحة الخضراء على أحد المواقع القطرية وتصويرها بطريقة هوليودية مؤثثة بممثلين كومبارس أخرجتهم للعالم في ثوب شعب ثائر...وما يمكن ملاحظته أنّه خلال الثورة الليبية وعلى خلاف ثورتي تونس ومصر خرج عرّاب ما يسمى بثورات الربيع العربي الصهيوني برنار ليفي هنري من الخفاء وباشر بنفسه الإشراف على مجموعات الموت المرتزقة التي انتشرت في كامل ليبيا.

بعد خطاب علي عبد الله صالح الذي جاء فيه أنّ اليمن ليست تونس خرج شباب اليمن في مظاهرات عمّت البلاد تنديدًا بالأوضاع الاقتصادية والسياسية وتحت الضغط قبل الرئيس صلح بالتنحي لفائدة نائبه هادي وفي المقابل وعد الاتفاق صالح ومساعديه بالحصانة من الملاحقة على الجرائم المرتكبة أثناء فترة رئاسته وبعدها هدأت المظاهرات التي استمرت ثلاثة عشر شهرا مخلّفة قتلى وجرحى بالآلاف، القناصة نجحوا في إراقة الدماء من خلال قتل أكثر من 38 متظاهرًا في اليمن. زمنها شفعت أميركا لحليفها صالح وأفردته بترك السبيل بعد أن شُوّه خلقيًّا نتيجة أحد الانفجارات.

وبخصوص الثورات الأخيرة في المنطقة العربية فإنّه توجد أسباب موضوعيّة لاندلاعها لا يمكن إنكارها أو إغفالها، فهذه البلدان تواجه صعوبات اقتصادية وسياسية حقيقية ولكنّ اللاّفت للنظر أنّ الثورات في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا

انفجرت دفعة واحدة أو في تسلسل مريب وفي منطقة محدّدة تعتبر عصبًا اقتصاديًّا رئيسيًّا في العالم، هذا التزامن المريب ليس وليد الصدف. ولكي يكره الشعب حكومته وليثور على حكّامه من الواجب إراقة الدماء. ولأنّ السلطات تستخدم عادة العنف المادي باستعمال العصي والهراوات والغاز المسيل للدموع أو خراطيم المياه فإنّ ذلك لن يساعد على تفاقم المواجهة. وبالتالي فإنّ ظهور قناصة ملثّمين مجهولين على سطوح المباني العالية وهم يطلقون الرصاص على المتظاهرين والمحتجين لينجحوا في إصابة بعضهم بمقتل سيمكّن من إشعال الوضع. لقد شاهدنا إبان الثورة وبعدها كيف أنّ وسائل الإعلام تتحدث عن سيّاح أو صيّادي خنازير أو صحفيين أبرياء ألقت السلطات القبض عليهم ولتبدأ بعدها مباشرة حملة مسعورة لإطلاق سراحهم بعد تخويف السّلطات والتستّر على دور القناصة الحقيقي في ترعيب السكان وتقتيل المساكين. هذه الصورة شاهدناها في تونس وكذلك في مصر واليمن وفي ليبيا في بنغازي تحديدًا. وهنا يجب التذكير بأنّ المدوّن الذي أبلغ على صفحته الفيسبوكية بأنّ قوّات القذافي تخرق الهدنة وبعد ذلك مباشرة بدأت غارات حلف الناتو، وجد مقتولًا في ظروف غامضة وبطلق ناري من قناص مجهول.

لم تكن الثورات العربية بمثابة خطأ، ولكن القضايا العادلة لا تضمن الانتصار دومًا، خصوصًا إذا تأكّد لنا بأن "ماما أميركا" تتخلى عن حلفائها بمجرد فقدانهم لثقة شعوبهم وتسارع إلى إزالتهم من الخارطة بذات الطريقة أو المسرحية لاعتقادها بأنها أصبحت أنظمة مستهلكة من الواجب تعويضها بأخرى جديدة أو متجدّدة. والحالة تلك يتعين على الثوار الأحرار أن يدركوا أن المعركة الناجحة هي أيضاً معركة ذكية تتطلب روحًا ثورية متجدّدة تستمدّ قوّتها وصلابتها من شرفاء البلد وأحراره دون سواهم بعيدًا عن المزايدات والإملاءات والتجاذبات والمحاصصة.

مصادر ومراجع

- كتاب من الديكتاتورية إلى الديمقراطية – جين شارب.
- "الشرعية الثورية والشرعية الديمقراطية" – مقال – د. عمرو الشوبكي- المصري اليوم.
- "الطريق الخطأ لنشر الديمقراطية في العالم العربي" – مقال – زبيجنيو بريجينسكي.
- نظرية الفوضى والدمار الخلاق ومخاض الشرق الأوسط الجديد – د. نهى خلف.
- كتاب ثروة بلا هوادة: تاريخ الرأسمالية- جويس أبلبي.
- الفوضى الخلاقة بين الفكر والممارسة – ياسر ثامر.
- منظمات مصرية ممولة تطالب أميركا بالتدخل – أسامة الدليل.
- شرق أوسط إسلامى أم شرق أوسط ديمقراطي – مجدى خليل.
- بعد مرور عام على 25 يناير – جين شارب... فيلسوف أميركي أم عميل استخباراتي؟ – إميل أمين.
- الخطاب الإصلاحي الجديد: الخلفيات الإستراتيجية والإشكالات النظرية – عبدالله السيد ولد أباه.
- "الحرية والعدالة في الشرق الأوسط الحديث"- دراسة – برنارد لويس.
- كتاب حول الديمقراطية الأميركية – الكسيس دي توكفيل.
- كتاب "تحطيم الشر الحقيقي" – مارك بالمر.
- كتاب نهاية الشر – ريتشارد بيرل وديفيد فروم.
- المحلل الأميركي ويليام إنغدال لـ"الصباح الأسبوعي": هذه هي الأهداف الأميركيّة من الربيع العربي – حوار أجرته معه أروى الكعلي- 3 نوفمبر 2012.
- ثورة مصر: التدمير الخلاق لأجل شرق أوسط كبير – مقال – ويليام إنغدال.
- من "الثورات الملونة" إلى "الربيع العربي" – نيكيتا مندكوفيتش – موقع "الشرق الجديد" على الإنترنت.

- الثورات الملوَّنة في الشرق الأوسط - جاك غولدستون - الحياة اللندنية - 7 فبراير 2011.
- الثورات الملوَّنة والقوقاز ومحور واشنطن تل أبيب - محمد أحمد الروسان.
- دروس من ثورات ملونة - إبراهيم مرعي.
- المسلمون بين فكي الماسونية ونظرية الفوضى الخلاقة - د. أحمد إبراهيم خضر.
- الثورة المخملية.. المفهوم والتجارب - على الطالقاني.
- مفسدات الثورات العربية ومنغصات الربيع العربي - محمد شركي.
- جين شارب والثورات الملونة - رضا نايل.
- كتاب الحجة من أجل الديمقراطية قوة الحرية في التغلب على الطغيان والإرهاب - ناتان شارانسكي.
- مشروع (برنار لويس) لتقسيم منطقة الشرق الأوسط - عبد الرحمن الغمراوي.
- ناتان شارانسكي وفلسفة الديمقراطية الأميركية!! - د. أبا الحكم .
- ثوار يناير يتحدون الفوضى الخلاقة - تحقيق: د. هند بدارى.
- الثورة المصرية - جيمس.د.لاسوير - مقال - مجلة " فورين أفيرز ".
- كتاب " داخل مصر: أرض الفراعنة على شفا الثورة " - جون برادلي.
- نضال اللا عنف - إريكا تشينويث.
- أوكرانيا:خيبة الأمل في الثورات الملونة - عبد العظيم محمود حنفى.
- كتاب كفاح اللا عنف- جين شارب.
- دور القوة في كفاح اللا عنف- جين شارب - مؤسسة ألبرت أينشتاين.
- إستراتيجيات التغيير وأنواع القوة.. بدائل العنف- فتحي أبو حطب.
- كانفاس..أفعى السياسة المقنعة لتعليم الثورات الناعمة - رشا عثمان.
- الربيع العربى صناعة أميركية - حوار مع تيري ميسان حول ثورات الربيع العربي الأهرام العربى - مهدى مصطفى - 9 يونيو 2012.

- المعونة وسنينها- حروب المنظمات الأميركية بالوكالة لنشر الديمقراطيات الملونة - سيد على - الأهرام - 02 - 10 - 2011.
- "منظمة أوتوبور الصربية تتحرك بأجندة أميركية" - محمد ثروت - صحيفة الوفد.
- أميركا دعمت 6 إبريل - وليام إنجدال.
- جين شارب: مؤلف قواعد الثورة غير العنيفة - بقلم: راريد آرو عن الـ "بي بي سي".
- مؤسسة ألبرت أينشتاين: اللا عنف بمفهوم جهاز المخابرات الأميركية " السي آي إي"- بقلم تيري ميسان - شبكة فولتير.
- الثورات الملونة .. وسائل التغيير الديمقراطي-الصباح"- تشارلس فيربانكس.
- الثورات المخملية: معبر إلى الهيمنة العالمية-ليديا سيماكوفا.
- خريف الثورات الملونة- د. فريد حاتم.
- مستقبل الثورات: إعادة التفكير بالتغيير الجذري في عصر العولمة. جون فوران.
- الثورات الملونة-حبيب فوعاتي.
- تصدير الثورات الملونة بين الفشل والعودة- عدنان الهاشمي.
- تمويل الثورات الملونة والبيئة المناسبة لحدوثها - مازن جهاد وعري.
- جين شارب.. داعية لاعنف أم لورنس الشرق الجديد - محمد حميد الصواف - شبكة النبأ.
- كتاب البدائل الحقيقية ـ جين شارب.
- الإستراتيجية الأميركية لإخضاع صحوة العرب - أندرو غيفن مارشال.
- كتاب البدائل الحقيقية - جين شارب.
- كتاب أرابيسك أميركاني .. دور الولايات المتحدة في ثورات الشارع العربي- د. أحمد بسادة.

فهرس الكتاب

تقديم 5

الفصل الأول: فيلسوف أم عميل استخباراتي؟ 7

الفصل الثاني: شارب وأكرمان وآخرون 27

الفصل الثالث: ثورات لا عنف أم انقلابات؟ 41

الفصل الرابع: من الديكتاتورية إلى الديمقراطية 55

الفصل الخامس: شارب وأوتوبور وكانافاس 101

الفصل السادس: التآمر على «الربيع العربي»! 115

الفصل السابع: نظريات شارب في الميزان 139

مصادر ومراجع 165